الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أحمد دراية أدرار

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

تجليات الفضاء الصحراوي في رواية "مول الضاية" لعبد الهادي دحدوح

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص أدب جزائري

إعداد الطالبة:

❖ مارية مخلوفي

إشراف الأستاذ:

❖ أ.د مبارك بلالي

لجنة المناقشة

أ.د. محمد بن عبو	جامعة أدرار	رئيساً
أ.د. مبارك بلالي	جامعة أدرار	مشرفاً
أ.د. محمد رقاني	جامعة أدرار	مناقشاً

السنة الجامعية: 2021-2022م/1442-1443هـ

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic of Algeria

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة أحمد دراية- أدرار

Ministry of Higher Education and Scientific Research
University Ahmed Draia of Adrar
The central library

شهادة الترخيص

انا الأستاذ(ة) : مبارك بلالي

المشرف مذكرة الماستر الموسومة بـ:

تجليات الفضاء الصحراوي في رواية "حصول الضباية" لعبد الهادي دحدوح

من إنجاز الطالب(ة):

الطالب(ة): ماية مخلوفي

كلية : الآداب

القسم : اللغة والأدب العربي

التخصص:

تاريخ تقييم / مناقشة: 15/05/2022

شهد ان الطلبة قد قاموا بالتعديلات والتصحيحات المطلوبة من طرف لجنة تقييم / المناقشة، وان المطابقة بين النسخة الورقية والإلكترونية استوفت بمع شروطها.

بإمكانهم إيداع النسخ الورقية (02) والإليكترونية (PDF).

مساعد رئيس القسم

استاذ المشرف:

أ.د. مبارك بلالي

﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾.

سورة النساء الآية: 97.

الإهداء

إلى روح والدي الكريم رحمه الله وأسكنه الله فسيح جنته

إلى أمي العزيزة، سندي في الحياة، أطال الله في عمرها

إلى كل إخوتي وأخواتي

إلى جميع الأصدقاء والأحبة

إلى كل أساتذة كلية الآداب واللغات، وبالأخص من كان عوناً لي.

أهدي لهم هذا الإنجاز العلمي المتواضع.

مارية.

شكر وعرفان.

"من لا يشكر الناس لا يشكر الله"

أحمد الله وأشكره على توفيقه وهديه لي في إتمام هذه المذكرة.

وأوجه خالص شكري بالدرجة الأولى إلى أستاذي الفاضل "بلالي مبارك".

الذي احتضن هذا العمل بتوجيهاته ونصائحه العلمية القيمة.

والشكر موصول إلى "الأستاذ عبد القادر" الذي لم يبخل عليا بمساعدته وبآرائه وتوجيهاته، وكذا "الأستاذة بن عبيد أم الخير" التي كانت فيها نعم الناصح والمرشد والمعين..

وأتقدم بالشكر والتبجيل إلى جميع أساتذتي، جزاهم الله خيراً.

وخالص تحياتي إلى أعضاء لجنة المناقشة على ما أنفقوا من وقتهم ومابذلوا من جهدهم في قراءة هذه المذكرة وإثرائها وتصويب هفواتها.

مقدمة

مقدمة:

تُعد الرواية نمطاً أدبياً دائم التحول والتجدد بحيث لايستقر على حال، وأصبحت تحتك بمختلف الفنون والعلوم، وتوظف آليات وتقنيات فنية مستحدثة في بنائها السردي فشكلت عالماً جماليا فنياً لا يخرج عن الواقع، ممزوجاً بالخيال الفني والتصوير الجمالي.

فالفضاء هو عنصر أساس في الكتابة الروائية كونه المجال الفسيح التي تصبح فيه مختلف تصورات الروائي ماثلة شاهدة في عمله الفني، فهو أساس وجوهر عمل كل كاتب روائي.

إنَّ خوض الكتاب لموضوع "الصحراء" قد فتح للسرد إمكانات هائلة جديدة، فالصحراء هي التي توسع أفق التصوير وتُسهم في تشكيل الأبعاد الواقعية والمتخيلة للخطاب السردي .

ومن ثم، سجلت الرواية الجزائرية عدداً من النماذج تبنت فضاء الصحراء، فأصبح الفضاء الصحراوي عنصراً مُهماً ومميزا من عناصر السرد في نصوص الرواية الجزائرية المعاصرة، فظهرت الصحراء كفضاء منح للرواية الجزائرية وجها جمالياً جديدا له سماته الخاصة، باعتبارها الفضاء الأرحب للتعبير والأبلغ في التصوير، كما تُعد مخزنا من مخازن التصوير، إذ أصبحت الصحراء مجالاً رحبا ومكانا شاسعاً يلجأ إليه الروائي بغرض تشكيل عناصر عمله الإبداعي.

ويتجلى ذلك واضحاً في الرواية التي اخترتها لتكون موضوع دراستي وهي رواية صحراوية بامتياز، رواية "مول الضاية" لعبد الهادي دحدوح، فقد جاءت دراستي موسومة بعنوان "تجليات الفضاء الصحراوي في رواية مول الضاية للروائي عبد الهادي دحدوح، ومن أجل الإلمام بموضوع البحث من كل الجوانب، كان لي إطلاع على بعض الدراسات السابقة من بينها :

-عبد القادر سلامي والعوفي نوال، الفضاء الصحراوي وجمالية تجريبه-قراءة في المنجز الروائي الجزائري المعاصر، المجلة العربية مداد ، جامعة تلمسان/الجزائر.

- حسين بوحسون، فضاء الصحراء :جدل المكان والإنسان، مقال في جلة دراسات، جامعة بشار

- محمد صديق حسن عبدالوهاب، الصحراء في الشعر الجأهلي، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في الأدب والنقد، إشراف عبد الرحمن عطا المنان، قسم الدراسات الأدبية والفنية، جامعة أم درمان الإسلامية.

وتكمن أهمية البحث في: الكشف عن عوالم الفضاء الصحراوي المترامي الأطراف القابل للتأمل والإبداع وإبراز قيمته ومكانته الجمالية في الرواية الجزائرية، بالإضافة إلى العمل الروائي الذي قدم فيه الكاتب صورة متكاملة عن الفضاء الصحراوي، حيث تميزت رواية "مول الضاية" بثراء أمكنتها وتنوع فضاءاتها، و ظهرت في صورة مميزة أخذت أبعادا جمالية مختلفة عن المجتمع الصحراوي التواتي .

وككل بحث هناك دوافع تدفع الباحث إلى اختيار الموضوع وتجذب اهتمامه العلمي والشخصي، فكان اختياري لهذا الموضوع راجع للأسباب التالية: أسباب موضوعية، وهي محاولة تسليط الضوء على الرواية

الصحراوية الجزائرية كنصوص إبداعية جديدة جديرة بالبحث والتحليل، وأيضاً كون الفضاء الصحراوي لم يحظ بالاهتمام الكافي في الدراسات الأدبية والنقدية الجزائرية المعاصرة، كما أنَّه من جهة أخرى نجد أنَّ رواية مول "الضاية " لم تدرس كموضوع بحث أكاديمي سابق.

وأمّا الأسباب الذاتية، فهي رغبة مني أيكون موضوع دراستي حول الروايات الصحراوية التي اهتمت بالطابع الصحراوي المحلي الذي يحمل عبق التراث التواتي. بالإضافة هذا لم يكن اختياري للموضوع اعتباطيا بل لفت انتباهي عنوانها "مول الضاية" وما يخفيه من دلالات فحاولت الكشف عن هذا الفضاء الساحر.

وأمّا إشكالية الموضوع فتَنبني على مجموعة من الأسئلة، حاولت الإجابة عنها وهي:

-ما مفهوم الفضاء السردي ؟ وماهي إشكالية المصطلح ؟

- ماهي الخصائص الجمالية الذي تميز بها الفضاء الصحراوي دون غيره من الفضاءات؟ وماذا أضاف للرواية الجزائرية ؟

-إلى ماذا يُشير عنوان الرواية (مول الضاية)؟

كيف جسد الروائي عبد الهادي دحدوح فضاء الصحراء الواسع ضمن بنية الرواية؟ وإلى أي مدى وُفق في ذلك

- كيف انعكست علاقة الفضاء الصحراوي بمكونات السرد الأخرى في الرواية؟

وقصد معالجة جوانب الموضوع قمت ببناء خطة من مدخل وفصلين ثم خاتمة ضمنتها أبرز النتائج.

فالمدخل تناولت فيه : لمحة عن علم السرد ومفهوم الرواية ونشأتها ثم الرواية والصحراء وأخيرا تجليات الصحراء في الروايات المغاربية.

وأمّا الفصل الأول: المعنون ب "الفضاء الصحراوي مفهومه وتجلياته في الرواية الجزائرية" فتناولت فيه ما يلي :

في المبحث الأول قمت *بالحديث* عن مفهوم الفضاء السردي وأزمة المصطلح، ثم تطرقت إلى ذكر أنواعه في الرواية، وفي المبحث الثاني انتقلت إلى مفهوم الصحراء وأهم مميزاتها، وتضمن المبحث الثالث تجليات الفضاء الصحراوي في الرواية الجزائرية، وفي الأخير تطرقت إلى البعد الواقعي والتخيلي في الرواية الصحراوية.

وأمّا في الفصل الثاني فقد خصصته للتطبيق على رواية مول الضاية وهو الفصل : المعنون ب"تجليات الفضاء الصحراوي في رواية مول الضاية لعبد الهادي دحدوح، وتناولت في المبحث الأول التعريف بالكاتب وملخص وصفي لرواية مول الضاية.

ثُم أنواع الفضاءات في رواية مول الضاية، وبعدها رصدت مكونات الفضاء الصحراوي في رواية مول الضاية من خلال استخراج ودراسة أهم الفضاءات الموجودة في الرواية، وبعدها حاولت تسليط الضوء على العلاقة بيين الفضاء الصحراوي ومكونات السرد في الرواية من خلال علاقة الفضاء باللغة والشخصية والزمن.

وفي الخاتمة أشرت إلى جملة من النتائج توصلت إليها خلال البحث.

ولأنَّ رواية مول الضاية حملت في طياتها أبعادا ورموزا ودلالات، ارتأيت الاعتماد على منهجية تفي بالغرض المرجو من البحث، وتُساعد على كشف أغواره، مستعينة في ذلك ببعض آليات التحليل السيميائي من

خلال دراسة الظواهر الغامضة وتحليل الإيماءات التأويلية للشخوص في الرواية، كما وظفت إجراءين وهما التحليلي والوصفي، وهذا من خلال وصفي لصحراء الضاية والموروثات المادية واللامادية لسكان أهل المنطقة، بالإضافة إلى تحليلي لمحاولة استخلاص علاقة الفضاء الصحراوي بمكونات السرد.

ولتدعيم دراستي اعتمدت على عدد من المصادر والمراجع أهمها:

- سليمان قوراري، مباحث في الرواية الجزائرية–دراسة نقدية
- حسن عليان، تقنيات السرد وبنية الفكر العربي في الرواية العربية
- ياسين نصير، الرواية والمكان، الموسوعة الصغيرة.

ومن العقبات التي واجهتني أثناء البحث تمثلت في تشعب مصطلح الفضاء ممّا أدى لصعوبة التعامل معه، وتداخله مع بعض المصطلحات الأخرى هذا من جهة، ومن جهة أخرى أنّ الرواية لم يسبق لها وأن أجريت عليها دراسات سابقة فهذه أول دراسة تحليلة للفضاء الصحراوي فيها، وعليه فهذه المحاولة من المؤكد تحتاج إلى إكمال ، والمجال يتسع أمام غيري من الباحثين والطلاب لدراسة هذه الرواية الجديرة بالبحث والتحليل.

وفي الأخير أسدي جزيل الشكر للأستاذ المشرف الدكتور" بلالي مبارك" الذي كان نعم الناصح والمرشد والمعين، وإلى كل من أعانني في إنجاز هذا البحث المتواضع فلهم الشكر الجزيل والعرفان الجميل على ما تفضلوا به، ورجائي أن أكون وفقت في معالجة الموضوع لينتفع به القراء ويستفيد منه طلبة العلم، والله ولي ذلك ومولاه.

الباحثة: مخلوفي مارية

يوم: 2022/04/27

مدخل:

في مصطلحات الدراسة: "السرد"، "الرواية" و"الصحراء" في الرواية العربية

1-مفهوم السرد

2-مفهوم الرواية

3- مفهوم الصحراء

4-تيمة الصحراء في الرواية العربية

5-تجليات الصحراء في الرواية المغاربية

مدخل: في مصطلحات الدراسة: "السرد"، "الرواية" و"الصحراء" في الرواية العربية

1-مفهوم السرد:

يعد السرد أحد أبرز أدوات التعبير التواصلي، إذ يتم استخدامه في اللغة المكتوبة واللغة الشفوية، بالإضافة الى لغة الإشارات وفي كل ما يتم قراءته أوسمعه، سواء كان كلاما عادياً أو أدبياً فنياً ، ما جعل السرد يتصف بميزة الشمولية والتنوع. ولهذا نجد أن مختلف الأجناس الأدبية قد تفرعت منه، كالأساطير والخرافات، والقصص والروايات. كما أن لكل فرد طريقته في الحكي، إذ ميز الباحثون في السرديات بين مستويين للحكي؛ القصة والخطاب. ففي كل سرد هناك تواصل بين مرسل السرد ؛(السارد) أي الكاتب، ومستقبل؛ (المسرود له)أي القارئ، ومن ثم كان الرصيد المتراكم من السرد عبر التاريخ لا يعد ولا يحصى، فمنه ما دوّن ومنه ما تلقيناه عبر المشافهة.

أ- السرد لغة:

حيث ورد في لسان العرب لابن منظور من أنَّه «تقدمة شيء إلى شيء تأتي به متسقاً بعضه في إثر بعض متتابعا. وفلان يسرد الحديث سردا إذا كان جيد السياق له. وفي صفة كلامه، صلى الله عليه وسلم، لم يكن يسرد الحديث سرداً»[1] أي يتابعه ويستعجل فيه... وقوله عز وجل: ﴿وقَدّر في السَّرد﴾ [سورة سبأ:11] قيل: هو ألا يجعل المسمار غليظا والثقب دقيقا فيفصم الحلق، ولا يجعل المسمار دقيقا والثقب واسعاً فيتقلقل أو ينخلع أو ينقصف، اجعله على القصد وقدر الحاجة"»[2]؛ وعليه، فالسرد في تعريف ابن منظور ورد في سياقات متعددة، في الحديث الشريق والقرآن الكريم، وهو طريقة الإنسان في الحكي أي تقدمة شيء وفق منطق ورؤية.

وأمّا في قاموس المحيط فقد جاء أنَّ مفهوم السرد لغة هو « درع مَسرُودة ومُسرَّدةُ بالتشديد فقيل سردها نسجها وهو تداخل الحلق بعضها في بعض، وقيل السّرد، الثقب، والمسرودة المثقوبة وفلان يسرد الحديث إذا كان جيد السياق له، وسرد الصوم تابعه، وقولهم في الأشهر الحرم ثلاثة سرد أي متتابعة وهي: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، وواحد فرد وهو رجب، وسَردُ الدرع والحديث والصوم كله من باب نصر"» [3].

---

[1] -صحيح البُخاري، برقم3568

[2] ابن منظور، لسان العرب، مادة(س.ر.د)، دار صادر للطباعة والنشر، بيرت-لبنان، ط2005، ج3، ص211.

[3] الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ، مؤسسة الرسالة، 2005، ط8، ص 94.

ب- السرد اصطلاحا:

وأمَّا بالنسبة للمفهوم الاصطلاحي، فهناك مفاهيم وتعريفات عدّة، فعلى حسب ما عرفه "جيرار جنيت" أن «السرد لا يوجد إلا بواسطة الحكاية، كما أنه عرض لتسلسل الأحداث أو الأفعال في النص. وفي حديثه عن حدود السرد عرفه أيضا بأنه "عرض لحدث أو لمتوالية من الأحداث حقيقية أو خيالية، عرض بواسطة اللغة، وبصفة خاصة عرض بواسطة لغة مكتوبة[1]. فالسرد يستمد آلياته من الحكي، وهو نقل لجميع تفاصيل الحياة بما تحتويه من حقيقة أو خيال، بواسطة اللغة المستعملة شفاهة كانت أو كتابة.

كما عرفه سعيد يقطين السرد على أنه «فعل لاحدود له يتسع ليشمل الخطابات سواء كانت أدبية أو غير أدبية يبدعه الإنسان أينما وجد وحيث ما كان، ويصرح "رولان بارت" قائلاً: يمكن أن يُؤذي الحكي بواسطة اللغة المستعملة، وبواسطة صور ثابتة أو متحركة وبالحركة وبواسطة الامتزاج المنظم لكل المواد، إنَّه حاضر في الأسطورة والخرافة والأمثولة والحكاية والقصة».[2] فالسرد هو عملية إبداعيه غير محدودة يقوم بها المبدع قصد توصيل رسالة ما، فيشمل هذا الفعل أجناس أدبية متنوعة وسردية مختلفة، فيختار طريقة يُقدم بها الأحداث وفق تعدد لغوي وإيديولوجي وفكري...

وقد عرفت الأشكال السردية تطوراً كبيراً خاصة فن الروايةو القصة الذين أصبحا «مرادفا لكلمة (كتاب) في العصر الحديث، فقد توجب على النقد الأدبي الجديد أن يوجه صوب عنايته إلى هذا الفن، كما تصوره "جيرار جينيت". فاهتمام "جينيت" بالرواية في بادئ الأمر سرعان ما أدى به إلى توسيع نظرته إلى الشكل الروائي وخاصيته الأساسية المتمثلة في السردية (Narrativite)، ليكشف فيما بعد أن هذه الخاصية ليست حكرا على الرواية والقصة. وأمام العدد الهائل للأشكال السردية (قصص، روايات تقارير، أدب رحلات...إلخ)[3]؛ فقد أثار "جيرار جينيت" تصنيفات ومفاهيم ومصطلحات في مجال السرد، حيث يعتبر أنَّ مجال السرد يخص السرديات وحدها، ويستعرض بعض التطورات التي عرفتها الرواية عبر العصور.

2-مفهوم الرواية :

تعد الرواية من بين الأجناس الأدبية التي استطاعت أن تصور لنا مشاكل الذات والواقع بطريقة سردية طويلة و قد أثبتت مدى قدرتها على مواكبة مجريات الواقع، وفيما يلي وقفة مع مصطلح "الرواية " لغة واصطلاحاً

[1] جيرار جينيت، حدود السرد: ضمن كتاب طرائق تحليل السرد الأدبي،ترجمة بن عيسى بو حمالة، منشورات اتحاد كتاب المغرب، الرباط، 1992، ط1، ص 71.

[2] -سعيد يقطين، الكلام والخبر مقدمة السارد العربي، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 1987، ص19

[3] أسيا جريوي، السرديات العربية من نظرية المحكي إلى تأسيس الرواية، المثقف للنشر والتوزيع، الجزائر، 2019، ص17.

أ–لغة

من المعلوم أنَّ الرواية لون أدبي مشهور في الأوساط النقدية اليوم، ولكن مصطلح الرواية له تاريخ في لإستعمال اللغوي، نذكر من ذلك ما جاء في لسان العرب لابن منظور حيث يعرفه لغة: «مادة (رَوِيَ) من الماء، بالكسر، ومن اللبن يَرْوَىَ ريًّا ورِوًى أيضاً مثل رضاً وتَروّى أيضاً كله بمعنى، والاسم الرِّي أيضاً، وقد أرواني، وروى الحديثَ والشِّعر يَرْويه رِواية وتَرواه».[1]

وأما في قاموس المحيط فجاء « روِي من الماء واللبن كرضي رَيا ورِياً وروى وتروي وارتوى بمعنى، والشجر تنعم كتَرَوَّى والاسم الري بالكسر وأرواني وهو ريان، وهي ريا جمع رواء والرواية المزادة فيها الماء...روى الحديث يروي رواية وترواه بمعنى وهو راوية للمبالغة وعلى اهله ولهم اتاهم بالماء والقوم استقى لهم وروَّيته الشعر حملته على روايته كأرويت».[2]

وجاء في معجم الوسيط «الرَّوى ماءٌ رِوًى: رَوَاءٌ، الرَّوَاة: حبلٌ يُشّد به الحِملُ والمتاعُ على البعير (ج) أرْوِيَة، الرَّواء: المنظر الحَسَنُ، الرواية: القصة الطويلة (محدثة)، الرَّوَاء: السَّقاءُ».[3]

ب/اصطلاحاً:

إنَّ للراية حدوداً اصطلاحية كثيرة على رأسها ما ذهب إليه بعضهم في قوله بأن«الأصل في (الرواية) حكاية الحوادث والأعمال بأسلوب ينتهي إلى غرض مقصود، وهي فن طبعي قديم صاحب الأمم من عهد البداوة إلى ذروة الحضارة ،ولا يزال إلى اليوم يمثل مكانة ممتازة بين الفنون الأدبية لاتصاله بحياة الناس الماضية أو الحاضرة ،ولمروءته واتساعه للأغراض المختلفة ولجمال أسلوبه وخفته على النفوس[4].

والمعنى من ذلك أنَّ الرواية هي فنُ طبعت عليه الأمم منذ قديم عهدها، سواء أكانت موغلة في البداوة أو في الحضارة على حد سواء، حيث إنّها تروي الأحداث والإنجازات المختلفة لهذه الأمم فهي تعد بهذا ترجمة للعصور .

ولعل أبرز الباحثين في مصطلح "السرد"، عالم السرد الفرنسي "جيرار جينيت" Gérard Genette، فقد تمثلت جهوده الكبيرة في إرسائه لمفهوم "السرد"، التي وثقها في أعماله وكتاباته، لاسيما

---

[1] – ابن منظور، لسان العرب، (مادة روي) المجلد الرابع العاشر، دار صادر بيروت، لا يوجد طبعة، ص 348.

[2] – الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مادة (روي) الجزء الرابع، دار الكتب العلمية بيروت–لبنان، طبعة جديدة، ص337

[3] – مجمع اللغة العربية بالقاهرة، معجم الوسيط، مادة(الرَّوَى)، مكتبة الشروق الدولية، ط4، ص384.

[4] –أحمد الشايب، الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية ، مكتبة النهضة المصرية ،الطبعة1411/8هـ–1991م)، ص109.

منها في كتابه "خطاب الحكاية" Discours du récit (1972)، الذي عكس "جينيت" من خلاله الطبيعة المفهومية للمصطلح، من زاوية أنها تشير إلى المادة المحكية بمكوناتها الداخلية من الحدث والشخوص والزمان والمكان من جهة، بل بشكل أدق، فإن هذا المصطلح – من ناحية أخرى – أصبح لازمة أساسية في ظهور علوم جديدة تعنى بالسرد كالقصة، والرواية، والشعر، والأسطورة[1].ليكشف فيما بعد أن هذه الخاصية ليست حكرا على الرواية عبر الحقب الزمنية المختلفة لاتصالها بما يعيشه الناس.

و قد عرفها ميخائيل باختين بقوله «: الرواية هي فن نثري تخيلي طويل نسبيا ،وهو فن بسبب طوله يعكس عالما من الأحداث والعلاقات الواسعة، والمغامرات المثيرة والغامضة أيضا، وفي الرواية تكمن ثقافات إنسانية و أدبية مختلفة ، ذلك لأن الرواية تسمح بأن تدخل إلى كيانها جميع أنواع الأجناس التعبيرية سواء كانت أدبية أو غير أدبية»[2].

فالرواية في نظره تعتمد على الخيال بشكل كبير كما تكثر فيها الاثارة والمغامرات لكنها قد تسرد لنا وقائع مختلفة الثقافات ..

ويقول عبد الملك مرتاض ":الرواية عالم شديد التعقيد ،متناهي التركيب، متداخل الأصول .إنَّها جنس سردي منثور لأنَّها ابنة الملحمة، والشعر الغنائي، والأدب الشفوي ذي الطبيعة السردية جميعا، من أجل ذلك نلفي الرواية تتخذ لها لغة سهلة الفهم نسبياً، لدى المتلقي، بحيث لاينبغي لها أن تسمو إلى طبقة لغة العلماء والشعراء، ولكن لاينبغي أن يعتقد معتقد أنّا نريد إلى الرواية التي كانت قائمة بالمفهوم الذي آلت اليوم إليه؛[3] فالرواية متفردة بذاتها تقترب من الملحمة غالباً وهي غنية بالعمل اللغوي .

فمن أهم الاشكاليات التي تقابل الدارسين والباحثين في نظرية الرواية تتمثل في الكيفية التي تتشكل بها، كما وصفها عيد الملك مرتاض أنَّها عالم شديد التعقيد، فالأجناس تتوالد وتقترب من بعضها وتشابك لتكون نصاً.

ومن ثم فهي الجنس الأدبي الأكثر انفتاحاً على تصوير مشاكل الذات والواقع، والقادرة على استيعاب جميع الأجناس والأنواع والخطابات، ولهذا نجد تداخل بعض الأجناس الأخرى معها كالشعر والمسرح والقصة...

[1] جمال بن جديد، صباح الخضاري، قراءة مفاهيمية في بعض المصطلحات السردية المترجمة السرد – علم السرد – السردية – السرديات)، مجلة المترجم، مجلد 20، ع 1، جوان 2020، ص 75.

[2] – –أمنة يوسف، ت قنيات السرد في النظرية والتطبيق، دار الحوار للنشر ، سوريا ،ط1 ، 21

[3] –عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد)، عالم المعرفة –الكويت ،ط1(ديسمبر 1998)، ص18

والرواية باعتبارها جنساً أدبيا منفتحاً، لاتتوفر على شروط وقوانين ثابتة في تشكيلها ،وكأنَّها الجنس الوحيد القادر على امتصاص كل أجناس الابداع الاخرى كما يمكنها الاستفادة منها.

ج–نشأة الرواية العربية وتطورها :

إنَّ مما لا يخفى علينا «أنّ الرواية العربية قد اتخذت في بداية نشأتها وتطورها مسارين متضادين ومتلازمين، نشأ بينها صراع حول البحث عن طرق جديدة في التعبير وبين الصلة مع الماضي والتراث، هذا الصراع أوقع الروائيين العرب في حيرة من أمرهم، هل يتبنون النموذج الغربي الأجنبي في الكتابة وعلى رأسها الرواية الفرنسية الجديدة ؟أم عليهم العودة إلى أشكال السرد التراثية وتطعيم الشكل الروائي الحديث ببعض عناصر هذا التراث ؟حيث عمد لفيف من الأدباء في خطوة أولى إلى الالتفات للتراث العربي ونبعه الأصيل يعبون منه، حجتهم في ذلك التمسك بالأصالة والهوية العربية في سعيهم لاستنهاض المتن الروائي من الموروث الرسمي الشعبي ».[1] ولهذا فإنَّ تباين الآراء بين الدارسين يتوقف على بعض الإشكالات التي تتمحور حول نشأة الرواية العربية .

وعليه فإنَّ «من أبرز النتائج التي تتميز بها هذه الدراسة (التراثية) ذلك الربط العميق بين المدونة والظواهر الاجتماعية والأبعاد الفكرية والنقدية، وبخاصة أنَّ الرواية كأنها بمثابة الناطق الرسمي لذهنية الأفراد والمجتمعات، أو هي الرصيد الفكري والثقافي للطرفين، وتعتبر بناء على هذه الأنماط تأسيساً جديداً لعمليات التقليد وإبداء ردود الأفعال التي تدفع إلى الاستمرار في الانتاج أو تعوقه. »[2] فالرواية نشأت تحت تأثير الذوق الشعبي والثقافي للعرب.

وانطلاقاً من هذا فقد «توجهت الرواية العربية للبحث عن عوالم روائية شديدة الالتصاق بالثقافة واللغة العربية وحوَّلت بعض هوامش الرواية إلى أماكن أساسية مركزية تأخذ دور البطولة في أحيان كثيرة، فاتجهت

[1] – جنات زراد، تجليات الفضاء الصحراوي في الرواية العربية، مجلة العلوم الاجتماعية والإسلامية ، العدد الثالث عشر، جامعة باجي مختار–عنابة، ص126

[2] –نسرين عطية، محمد كنتاوي، تطور وتحول الرواية العربية من التقليد إلى الحساسية الجديد ،جامعة أحمد دراية.أدرار، مجلة آفاق علمية ،المجلد :13 العدد 2020/10/02، ص297 .

الأنظار إلى فضاء الصحراء باعتباره بكراً فضاءً روائياً وفضاء جديداً يضفي حيوية وروحاً جديدة على الرواية بعد تبّرم الأدباء من الأماكن الضيقة والمألوفة».[1]

فالرواية العربية احتكت في مضامينها بمختلف الثقافات الاجتماعية والتاريخية والشعبية.. ،لاسيما القريبة من لغتها وثقافتها وعاداتها، فاهتمت ببعض الجوانب لمهمشة في المتن الروائي وجعلتها صورة مركزية لإبداعاتها ،فاتجه اختيارها إلى الفضاء الصحراوي .

3- مفهوم الصحراء :

تُمثل الصحراء بؤرة دلالية وفنية وجمالية في الكتابة الأدبية والروائية عند العرب، وقبل الخوض في حضورها داخل النسق الروائي ينبغي الوقوف على مفاهميها اللغوية فيما يلي:

أ-لغة: وردت كلمة الصحراء في معجم لسان العرب لابن منظور من (مادة صحر) « الفضاء الواسع لانبات فيه فيه وأصحر المكان أي اتسع. وأصحر الرجل: نزل الصحراء وأصحر القوم إذا نزلوا إلى فضاء لن يواريهم شيء.[2]

ب- اصطلاحاً: انطلاقاً من التعريف اللغوي يتجلى لنا المعنى الاصطلاحي لمصطلح الصحراء فقد عرفت على أنّها ذلك الخلاء الواسع المترامي العجيب الخالي من معظم مظاهر الحياة النباتية والحيوانية وذلك إلى جانب ندرة الماء وارتفاع الحرارة التي تؤدي إلى تبخر جزء كبير جداً، ممَّا قد يسقط عليها من أمطار متفرقة. [3]وبفعل تقلبات المناخ والتحول التضاريسي صارت الصحراء إلى ما عليه .

4-تيمة الصحراء في الرواية العربية.:

ارتبطت الصحراء بعالمها الأسطوري والتخيلي حيث يتمسك فيه الإنسان الصحراوي بمعتقداته وعاداته وتقاليده، فحياة الإنسان الصحراوي مختلفة تماماً عن حياة الإنسان في باقي المناطق الأخرى « لما لهذه الحياة من ميزات وخصائص وعادات وتقاليد مرتبطة بالبيئة الصحراوية، وتعتبر الأصعب بالمقارنة مع باقي

[1] -جنات زراد، تجليات الفضاء في الرواية العربية، ص 128

[2] -ابن منظور، لسان العرب، دار صادر بيروت-لبنان، ط1، 1997، ص17

[3] -صلاح صالح، الرواية العربية والصحراء، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ط1997، ص508

البيئات، إلاَّ أنَّه استطاع بالرغم من كل الصعاب أنّ يُسَخر هذه البيئة ليخلق منها جواً ملائماً للإبداع الثقافي، ليشكل تواصلاً مع الشعوب ويبين الخصائص الطبيعية والحضارية والثقافية والاجتماعية للحياة الصحراوي.»[1]

فاستطاع الإنسان الصحراوي رغم الظروف القاسية والمعاناة أن يتجاوز العراقيل التي قد تعيق إبداعه الأدبي، فجعل منها تحدياً لإبراز مواهبه وإبداعاته المختلفة المتواجدة في بيئته الصحراوية.

وقد« ظلت الصحراء الكبرى طيلة قرون عديدة مجهولة لدى الرحالة الغربيين القدماء، ولم يقدم عنها هؤلاء الرحالة الإغريق والرومان القرطاجين إلا معلومات ضئيلة ومحدودة، ارتحل إلى الصحراء الإفريقية الكبرى (عوليس في ملحمة هوميروس) ورحل هيرودوت إلى حواف الصحراء الليبية، وتحدث أفلاطون عن(قارة أطلانتيك الغارقة في الصحراء)»[2]

إذن فقد كانت الصحراء، عالماً مجهولا بالنسبة للغرب قروناً طويلة ولم يكتسبوا الاَّ معلومات جد محدودة عنها.

اقترن الحديث عن الصحراء في حقل الأدب العربي مند القدم بالشعر والشعراء حيث «حظيت الصحراء إذن بأهمية كبيرة بالنسبة إلى الأدب العربي القديم، لأنَّها كانت موطن الجاهلية وأرض النبوءات والرسالات التي جاءت فيما بعد، وآخرها الإسلام كرسالة سماوية مغايرة لها قيمتها وأعرافها ونظمها الخاصة، ولكن مع تطور العالم الأدبي وخاصة في العصر الحديث الذي ظهرت فيه أشكال تعبيرية أخرى مختلفة تماماً. »[3]

فعلى الرغم من الحروب والثارات والعصبية القبلية بين العشائر والقبائل في العصر الجاهلي، إلاّ أنّهم تغنوا بموطنهم

[1] –سميحة يونس، كلثوم مسعودي، دور الصناعة التقليدية في تفعيل السياحة الصحراوية (دراسة ميدانية في منطقة الزيبان –بسكرة)، مجلة أبحاث ودراسات التنمية، العدد الخامس –ديسمبر2016، جامعة برج بوعريريج،ص36.

[2] –حفناوي بعلي، صحراء الجزائر الكبرى، في الرحلات وظلال اللوحة وفي الكتابات الغربية، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع

[3] –أمينة محمد برانين، فضاء الصحراء في الرواية العربية(المجوس الإبراهيمي أنموذجا)، دار غيداء للنشر والتوزيع 2010، عمان/الأردن، لطبعة الأولى 2011م/1432هـ، ص15

"بوادي الصحراء" في أشعارهم مبرزين مدى تعلقهم بها فمزجوا بين حبهم للصحراء، وممارسة حياتهم وعاداتهم فيها ،ولهذا جاء شعرهم حاوياً لجميع تفاصيل الصحراء، حيث فجرت فيهم ينابيع الشعر على ألسنتهم وألهمتهم ،فوصفوا رمالها وحرّها وحيواناتها وكل مخلوقاتها.

وقد غير«مدلول الصحراء العربية الجغرافية واتجهت إليها أنظار الروائيين الذين أرادوا إنجاز روايات بملامح شرقيةعربية أصيلة، فاكتسحت بعنف خطاباتهم الروائية وأصبحت بالنسبة إليهم بمثابة المنجم الذهبي الذي صاغوا منه حلقات جديدة أضافوها إلى سلسلة الابداع .»[1]

وتعدُّ الكتابة عن الصحراء بمثابة الخوض في التيه، لأنَّها تشكل المساحة الأكبر في وطننا العربي، وبالرغم من هذا إلاَّ أنّها شهدت غيابا كمكان فني وفكري في أعمال كتابنا، حيث تمكنت «الرواية العربية بعد أن تخطت مرحلة المراهقة والتمرين وتطلعت إلى شيء من الاتزان والنضج الفني واتخذت لها مكانة بين الفنون الأدبية الحديثة تمكنت من أن تشق طريقها نحو العالمية، ووجدت في الفضاء الصحراوي ضالتها المنشودة، باعتبارها مكاناً

فالصحراء سر خفي وقوانين لا تأبه بالمنظور الحسي فقط بل تتعداه، فهي توسع أفق التصور والوصف والتخيل لدى السارد المبدع وذلك بالنظر لما تحويه من دلالات ورموز تولد رؤى فكرية خاصة بها، ممَّا يسمح بإنشاء نصوص متميزة لها طابعها الخاص، ولا يحظى بامتلاك رموزها إلا مجموعة من الأدباء والكتاب الذين تربعوا في عروشها وعاشوا في أحضانها .

وإنَّ ممّا نُلاحظه في أدبنا الحديث أنَّه، ليست ثمة تمثل حقيقي لأبعاد الصحراء مكانياً «وإن ارتبطت الصحراء عندنا بعمليين روائيين أحدهما لم يكتمل بعد، هو(الأيام الطويلة)خاصة في جزئها الأو، فقد ابرزت عنصر الصحراء ككائن مكاني صعب، كإطار يغلف حياة الشخصية تغليفاً فضائياً لا نهاية له، لكن عبد **الأمير معله**[2] لم ينتبه جيداً إلى قيمها الجمالية ولأبعادها التشكيلية، كذلك فعل زميله **عادل عبد الجبار**

[1] –جنات زراد، تجليات الفضاء الصحراوي في الرواية العربية، ص129

[2] –الأمير معله: عبد الأمير حميد خضر معلّة شاعر وكاتب عراقي .

عندما طوى هذه الصحراء في بادية الشام، على ظهر سيارة وبدليل عالم بكل جوانبها، كان الحري به أن يفعل بها فعل المكتشف لا العارف. »[1]

إذن، لم تشهد بواكير التأليف الثقافي العربي الحديث في المتن الروائي، أعمالاً روائية كاملة جرت أحداثها في الصحراء، فقد نجد بعض الأعمال القليلة التي تسللت الصحراء إلى مضامينها مع غياب الجانب الجمالي فيها

هذا ماقاله بعض الدارسين « ولولا أعمال إبراهيم الكوني التي سدت بعض الفراغ في الفضاء الصحراوي ومالانجز عنها من مرافقة نقدية، فتحت الباب للكتابة في تيمة الفضاء الصحراوي بشكل مغاير عما سبقها، لظلت في الحقيقية باقي الأعمال مغمورة وقليلة —وإن كانت متميزة، قليلة جداً مقارنة بما كتب الراوي العربي عن المدينة ومخجلة جدا بالنظر إلى ذلك الماضي الحافل بأمجاد الصحراء، وبصور الاحتفاء بها وبأهلها، وبصور التفاعل مع مختلف ظروفها. »[2]

وترى **أمينة برانين** «أنَّ المتأمل في خطاب الرواية العربية الحديثة الخاص بموضوع الصحراء، التي ظهرت كحالة إبداعية متأخرة، واستجابة لنداء خفي لازم الأدباء من جهة، ووضع استلابي لواقع معيش، ميز تلك المناطق النائية فانعكس عليهم وعلى إنتاجهم بالضرورة من جهة أخرى، يلاحظ أن الاختلاف الذي تتميز به تلك الاخيرة عن رواية المدينة، نابع من خصوصية الصحراء نفسها. »[3]

ونظرا إلى هذا، فإن تأخر الكتابة الروائية في ملاذ الصحراء يرجع إلى العوامل الطبيعية والاجتماعية بالدرجة الأولى.

فمن وجهة نظر بعض الدارسين قد« كانت الكتابة عن الصحراء صعبة، صعوبة الصحراء عكس الكتابة عن المدينة التي هي موطن مولد الرواية، لذلك نجد النصوص الرواية التي تكتب عن الصحراء قليلة، وربما يرجع ذلك إلى اهتمام الكتاب بفضاء المدينة، بدعوى أنَّ الرواية وليدة المدينة، من جهة ، ومن جهة أخرى لتلك العلاقة التي تربط بين الروائي العربي والمدينة، ورغم قلة النصوص الروائية العربية التي تتناول فضاء

[1] –ياسين نصير، الرواية والمكان ،الموسوعة الصغيرة، دار الشؤون الثقافية العامية للنشر، بغداد–العراق، ط2، ص122.

[2] – سليمان قاشوش، براهيم عبد النور، تيمة الفضاء الصحراوي وعبقرية الابداع السردي، مجلة اشكالات في اللغة والأدب ،مجلد 9 ،عدد:4 ،السنة 2020، المركز الجامعي تامنغست–الجزائر، ص471

[3] – أمينة محمد برانين، فضاء الصحراء في الرواية العربية(المجوس لإبراهيمي الكوني أنموذجا)، ص18

الصحراء إلاَّ أنَّ أحد النقاد العرب قد لاحظ (أنَّ الرواية العربية المتعلقة بالصحراء، هي التي استطاعت أن ترقى إلى مستوى التعامل الشامل والعميق مع الصحراء بتنوعها الغريب وغموضها الذي يتجاوز الحدود».[1]

صحيح، أنَّ الكتابة عن الصحراء كما ذكرنا سابقاً هو تحد وتيه، فقد كانوا ينظرون إليها على أنّها فضاء صعب على تشكيل الجانب الفني والجمالي، على عكس الكتابة عن المدينة، فلم يجرؤا إلاَّ قليل من الشعراء في محاولة توثيق ووصف جمالها .

ومن ثم فإنَّ كثيراً من الروائيون توجهوا إلى كتابة رواية المدينة، واتخذوا من مشاكلها وتعقيداتها في المجالات مادة دسمة لمتونهم الروائية، بداعي أنَّ الرواية هي وليدة المدينة ،ولكن بالرغم من هذا التأخر غير المبرر

فإنَّ الرواية العربية أجادت وأبدعت، في بعض نصوصها الروائية وكتاباتها في وصف الصحراء ، والتحدث عن معاناتها وقضاياها والتعمق في دراسة دلالاتها ورموزها وأساطيرها..

وعليه فإنَّ في الأدب العربي المعاصر اتخذوا بعض الروائيين العرب أمثال عبد الرحمن منيف، رجاء عالم ابراهيم الدر غوثي ...)في أعمالهم الروائية من تيمة الصحراء موضوعاً أو مسرحاً لأحداث رواياتهم، واستطاع هذا التوجه أن يدفع إلى إعادة النظر في بعض الأفكار التي عدَّت الرواية جنس أدبياً لا يمكن له الظهور إلاَّ في المدن، إذ توجهت الرواية العربية المعاصرة في عدد من النماذج المتقدمة فنياحملً وفكرياً إلى الصحراء، كان طليعة هذا التوجه أنَّ المكان الروائي الصحراوي خصوصا تجاوز سكونته السالبة المعهودة في الأنماط الروائية التقليدية.[2]

فالصحراء لم تعد مجرد خلفية تقع فيها الأحداث الدرامية وإنما أصبحت مصدر إلهام للباحثين والروائيين لما تحمله من حقل معرفي ثري وشحنة معرفية، تحمل الكثير من القراءات والقيم الرمزية.

5-تجليات الصحراء في الرواية المغاربية.

[1] -بوداود وذناني، فضاء الصحراء والسرد السياحي في الرواية الجزائرية (رواية تيميمون لرشيد بوجدرة انموذجاً) مجلة الباحث، العدد18 (31 ديسمبر/كانون الأول 2017)، جامعة عمار ثليجي الأغواط، الجزائر، ص49.

[2] -ينظر، سليمان قاشوش، براهيم عبد النور، تيمة الفضاء الصحراوي وعبقرية الابداع السردي، ص467.

انطلق هاجس الكتابة عن الصحراء لدى الروائي المغاربي وبالخصوص المبدع ابن الصحراء الذي تقلب في رحمها وترعرع في أحضانها، وعاش الحرمان بكل ألوانه وأنواعه مع أي خطوة يخطوها فيها، وعالج القضايا الاجتماعية والدينية والسياسية والاقتصادية وغير ذلك.

لكن هذا لايعني أنَّنا لم نشهد هامشية موضوع الصحراء افي ذاكرتنا التاريخية ومخيالنا الأدبي، وربما يرجع ذلك ظروف وقيود فرضها الواقع المعيش.

وفيما لي نعرض لبعض التجارب الروائية في الدول العربية المغاربية:

1-**في ليبيا** : انَّ الصحراء عند الأديب الليبي "إبراهيم الكوني "هي الانتماء والهوية والأصل ،فقد « عمل الكوني على مدار كتاباته الروائية على فتح آفاق واسعة من التفكير، تعتني بعوالم "الصحراء "بما هي فضاء يتيح للكاتب تحقيق هذا المبتغى، إذ يكتب عنها بصفتها رمزا للوجود الإنساني، ولهذا ندب نفسه من أجل هذا الطموح المشروع، وهو تأسيس فلسفة للصحراء كمنتج يرتحل إليه الخيال من خلال تتبع مسار الرجل الأزرق، أي "الطارقي"ورحلته التي تجسد روح هذا المكان في عالم السرد ليكتب خيالاته ويجسد أفكاره بالعودة إلى الرمز والأساطير التي ترتبط بهذه المنطقة وهي حوض البحر الابيض المتوسط.[1]

هذا إلى أنَّ إبراهيم الكوني يتخذ من الصحراء حلماً وواقعًا، ومجموعة من الرموز والإيحاءات الثرية المكتنزة بالدلالات المعمقة، ويستمد فلسفته من حقيقة الواقع والحياة والإنسان والوجود، ويستدعي التراث الغني من التاريخ والأسطورة والعادات والقيم الانسانية التي تختزل أفكار وعقائد فتصنع أسطورة الصحراء.

كما أنَّ «ابراهيم الكوني يمثل حالة روائية خاصة جداً في بلا المغرب كله، فلم يُعرف كاتباً مغاربي آخر تخصص في سرد أدبيات الصحراء الكبرى كما تخصص إبراهيم الكوني، ونجح في نقل حياة الطوارق إلينا على مدى عقود الزمن، وتلك مزية أدبية وتاريخية كبرى لم يفها النقاد حقها من العناية والتقدير في وقتها، فكل

[1] -بلال كوسة، سردية الصحراء :نحو إعادة تشكيل التجربة السردية من منظور ابراهيم الكوني ،مجلة الخطاب، المجلد16، العدد2 – جوان 2021، جامعة سطيف، ص196.

الاعمال التي نشرها الكوني، الكبيرة منها والصغيرة، تُقدم إلى القارئ كلوحات ملحمية سجلَّ فيها إبراهيم الكوني كل ماتفرَّق في الماضي القريب والبعيد من حضارة الصحراء .[1]

لقد تميزت كتابات الكوني عن غيره من الروائيين المغاربة بتعمقه في قضايا الفرد داخل المجتمع الصحراوي البسيط، لاسيما أنَّ جل رواياته تتمسرح احداثها في الصحراء المعزولة في أقصى الجنوب الليبي؛ الجنوب الجاف القاحل، الذي تميزه تقلبات الحياة والطقس من زوابع رملية، وشمس حارة، وفضاء لامنتهي من الرمال، إنَّها صحراء قبيلة الطوارق التي ينتمي إليها الكوني بالمولد والنشأة، فيجعل منها مركزا في كتاباته ويرسم لها مسارها ويبرز معتقداتها وتصوراتها وتقاليدها ...

لقد أوضح إبراهيم الكوني من خلال كتاباته أنَّ الصحراء «قاسية وعنيدة، وهي امتداد لا متناهي، فلا أحد يقدر نهايتها وقد تكون بعيدة وقد لاتكون، لكنّها بنظر الجميع سر لا يمكن الوصول إليه .(فالبطل في رواية التبر كان عقابة الموت نتيجة أخطائه المتمثلة في لعنة الأب ثم الاستسلام لفتنة الذهب وأدت به إلى الانتقام من "دود" فيفر هارباً إلى الصحراء ليلوذ بجبل الحساونة، إلى أن يقع في أيدي مجموعة من الأوباش المتنفعين من تراجيديا الصراع بغية الحصول على نصيب من المكافأة المرصودة لمن يفوز بالانتقام لدود، فيضطر بطل الرواية للاستسلام..)[2]ومن ثم الموت.

تحمل الروية أبعاد كثيرة كما تشير إلى مجموعة من الأساطير والخرافات وتبرز ظاهرة السحر بين القبائل، إنّها رائعة من روائع الكوني ويمكن أن نطلق عليها ملحمة روائية، نقلنا فيها الكوني إلى عالم الصحراء وخباياها، هذا العالم المتفرد بقساوته وقيمه وقوانينه الخاصة.

3–**في الجزائر** : أمّا «الحديث عن حضور الفضاء الصحراوي في الرواية الجزائرية، هو حديث عن "تيمة" أثرت قرائح الروائيين فأجادوا وأبدعوا في وصفها، ورسم معالمها وجمالها ،فكانت عند بعضهم تمثيلا للفضاء الرهيب الذي يوحي "بالفزع والوحدة والوحشة والجلال"، فضاء حاملاً بعداً فلسفيا ووجوديا يعكس جدلية

[1] –نزار التجديتي، حلم الصحراء في الأدب المغاربي، محاضرة مقدمة بمناسبة المائدة المستديرة التي ينظمها البيت العربي في معرض الكتاب يوم 31مايو 2007 ،تحت عنوان "الصحراء في الأدب."، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة عبد المالك السعدي بتطوان (المغرب)، ص19

[2] –حليمة دحماني، رمزية الصحراء في روايات إبراهيم الكوني ، مجلة الإنسان والمجال–مجلة دولية علمية تصدر عن معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد:05–افريل 2017، المركز الجامعي نور البشير بالبيض–الجزائر ،ص263

البقاء والفناء وصراع الوجود، وصورها آخرون بما تحمل في أعماقها من حكايات وأساطير وموروث شعبي من عادات وتقاليد مسكوبة في قوالب سردية روائية كوسيلة للاستبقاء وإثبات الهوية كون "السرد هو الوجود "على حد قول ريكور.»[1]

من هنا نجد أنَّ الفضاء حاضر في الرواية الصحراوية الجزائرية من خلال فلسفة المجتمع والصراعات الموجودة داخله من أساطير وموروث وعادات وتقاليد مختلفة، ممَّا أعطى نكهة سردية تتضح معالمها من خلال الروايات الجزائرية على سبيل المثال .

وبالرغم ممّا ذكر، إلاَّ أنّ حضور الصحراء في الرواية الجزائرية كان حضوراً ضئيلاً، و«قد أرجع أحد النقاد العرب ذلك إلى أنَّ الرواية الجزائرية «قد اشتغلت بهموم الاستقلال والكفاح المسلح المرير ضدد الوجود الفرنسي، وتابعت بعد ذلك القضايا السياسية والاجتماعية الكبرى التي عاشتها الجزائر بعد الاستقلال) .[2]وهو حكم صائب لأنَّ الروائي ركز على تغطية الأحداث التي جرت إبان الاستعمار.

هذا وقد أصبح فضاء الصحراء لدى المبدع الجزائري ركيزة أساسية ومهمة في النصوص الروائيةّ، حيث عمل على ازدواجية اللغة الفرنسية والعربية، «فأصبحت الصحراء بفضائها الشاسع مجالاً رحبا ليحضر فيه الروائي ذاته ويتماهى مع مخيالها وأساطيرها..،فلا يمكننا أن نقرأ رواية ضمن الأدب الصحراوي إلاَّ ويجذبنا فضاؤها الواسع.[3]

ويمكن الإشارة إلى بعض التجارب السردية لكتاب من أبناء الجنوب اتخذوا من الفضاء مسرحاً لأعمالهم.

1-الروائي الحاج أحمد الصديق(رواية مملكة الزيوان، رواية منى شتات الصحراء، رواية كاماراد) ،2-عبد القادر ضيف الله (رواية تنزروفت)، 3-لحبيب السايح (رواية تماسخت)، 4-عبد الهادي دحدوح (مول الضاية-

[1] -شهيناز ماتي، البُعد الفلسفي الوجودي في استحضار الموروث الشعبي الصحراوي في الرواية الجزائرية(رواية نادي الصنوبر أنموذجاً)، مجلة سرديات الصحراء، العدد2 ،ديسمبر 2019، تصدر عن مخبر الفضاء الصحراوي في مدونة السرد الجزائري- جامعة ادرار ،ص20

[2] -بوداود وذناني، فضاء الصحراء والسرد السياحي في الرواية الجزائرية (رواية تيميمون لرشيد بوجدرة انموذجا) ، ص50.

[3] -حسن مهني، حضور الفضاء الصحراوي في روايات الصديق الحاج أحمد (مملكة الزيوان انموذجا)، مجلة سرديات الصحراء، جامعة غرداية، ص233

5-عبد الله كروم (مجموعة قصصية)، 6-محمد مرين حسن(عرائس الرمل)، 7-حفيظ جلولي(رواية على الرمل تبكي الرياح).....

وفي الأخير يمكن القول إنَّ أدب الصحراء وبالخصوص الرواية الصحراوية لازالت في إبداع مستمر، وعطاء متواصل، من ثمة كانت الصحراء عنواناً لرحلة الروائي اللامنتهية.

الفصل الأول

الفضاء الصحراوي

مفهومه، وتجلياته في الرواية الجزائرية

- المبحث الأول: مفهوم الفضاء السردي واضطراب المصطلح.
- المبحث الثاني: مفهوم الصحراء وخصائصها.
- المبحث الثالث: تجليات الفضاء الصحراوي في الرواية الجزائرية.
- المبحث الرابع: البُعد الواقعي والتخيلي لفضاء الصحراء في الرواية الجزائرية.

الفصل الأول: الفضاء الصحراوي، مفهومه، وتجلياته في الرواية الجزائرية.

المبحث الأول: مفهوم الفضاء السردي واضطراب المصطلح:

1-مفهوم الفضاء السردي:

خلق الله جل جلاله السموات وملأها بالملائكة التي تسبحه وتقدس له، خلق الأرض وخلق فيها الإنسان وجعله خليفة فيها، وخلق حول الإنسان مخلوقات عظيمة من الحيوانات تدب على وجه الأرض أو تحلق في جو السَّماء، فلكل كائن جعل الله له مستقره ومأواه الذي يأويه، ويؤثر فيه ويتأثر به ويحصل منه على مقومات الحياة من غذاء ومأوى وغيرها ...، كل هذا يحدث في إطار مشترك هو ما يسمي ب الفضاء، فالفضاء هو صورة تعكس وجود الإنسان وتحدد نمط حياته وظروفه .

يكتسي الفضاء أهمية كبيرة في العمل الروائي لما يستدعيه من حضور في البناء الروائي، الحدث والزمن والوصف والسرد، هذا الاتساق تجمع ليشكل لنا الفضاء، وعليه، فيمكن تعريف الفضاء لغة واصطلاحاً كما يلي:

ا- لغة :

تعددت تعاريف لفظة " الفضاء في المعاجم العربية القديمة منها والحديثة نذكر منها ماجاء في بعضها:

فقد جاء في لسان العرب في (مادة ف ض ا) : «**الفَضاءُ**: المكان الواسع، والفعل فَضا يفضو فُضُوّاً فهو فاض: قال رؤبة: أفرخ قيض بيضها المناقض عنكم كراما بالمقام الفاضي ..وقد **فضا** المكان وأفضى إذا اتسع. وأفضى فلان إلى فلان أي وصل إليه، وأصله أنَّه صار في فرجته **وفضائه** وحيزه».[1]

لم يختلف المعنى في معجم مقاييس اللغة لمؤلفه أحمد بن فارس يقول : «"**فضى** :الفاء والضاد والحرف المعتل أصل الصحيح يدل على انقسام في شيء واتساع».[2]

و ورد كذلك في مختار الصحاح أنَّ **الفضاء** هو« "الساحة وما اتسع من الأرض".وقد أفضى: خرج إلى **الفضاء** » .[3]

---

[1]-ابن منظور، لسان العرب، مادة"فضا"، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع (دار صادر-بيروت)، الطبعة الثالثة ،المجلد الخامس عشر ،الجزء11 ،ص157

[2]-أحمد بن فارس، مادة فضى، معجم مقايس اللغة، الجزء4، تحقيق :عبد السلام محمد هارون، الناشر:دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت/لبنان 1399هـ-1979، ص508

[3]- الرازي، مختار الصحاح، مادة :فضى، دار الكتب العلمية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان 1406هـ1986م، ص508

وجاء في التهذيب« قال شمر :***الفضاء*** :« ما أستوى من الأرض واتسع. قال : والصحراء ***فضاءً*** . قال : ومكان فاضي ومُفض، أي : واسع . وأرض ***فضاء*** وبراز، والفاضي: البارز»[1].

وأمّا الزمخشري فقيد القول : «فضا المكان يفضو فضواً إذا اتسع فهو فاض، وأفضيته أنا :وسعته وجعلته **فضاء**».[2]

وممَّا سبق نلحظ أنّ معظم التعريفات لكلمة "الفضاء " في المعاجم العربية تتفق على أنَّها تعنى الاتساع والكبر والخلاء والمكان الواسع والشاسع، فكلها دلالات تشترك في مفهوم المدلول اللغوي للفضاء.

ب–اصطلاحاً:

أثار مصطلح الفضاء إشكالات في مفهومه لدى النقاد والدارسين، فلم يبلغ اتفاقا بينهم، على عكس ما جاء في المعاجم العربية، فمعظم الدراسات التي تناولت الفضاء لم تحدد لنا مفهوما واحدا له مما يفهم منه أنُّه مصطلح يحمل الغموض والإبهام عند نقاد العرب، فقد كان في بدايته مصطلحاً أدبياً غير واضح، يفتقر إلى المعرفة عميقة ولم يحظ بالاهتمام إلاَّ في السنوات الأخيرة من العصر الحديث وذلك من خلال دراسات متفرقة، ولهذا «لا يمكن تحديد مفهومه بدقة إلا من خلال التصورات المختلفة التي يشتغل فيها ،والتي حددها حميد لحميداني في مايلي :[3]

–الفضاء كمعادل للمكان(الحيز الجغرافي).

–الفضاء الدلالي :مستويات الصور المجازية ومالها من أبعاد دلالية مختلفة.

–الفضاء النصي(الطباعي): والذي يشمل طريقة تصميم الغلاف ووضع المطالع وتنظيم الفصول وتشكيل العناوين ،الهوامش ،الرسوم والجداول.

–الفضاء كمنظور(زاوية النظر التي يقدم بها الكاتب نصه (عالمه) الروائي) ».

فنلاحظ أنَّ حميد لحميداني يصنف الفضاء إلى أربعة أنواع في العمل الروائي فهي عناصر فعالة وأساسية في بناء الرواية، فالفضاء كمعادل للمكان يطلق عليه عادة الفضاء الجغرافي « فالروائي مثلاً في نظر البعض يقدم دائماً حداً أدنى من الإشارات الجغرافية التي تشكل فقط نقطة انطلاق من أجل تحريك خيال القارئ، أو من أجل

[1]– أبو منصور الأزهري الهروي، تهذيب اللغة، تحقيق أحمد عبد الرحمان مخيمر، الجزء التاسع :ش،ض،ص،س باب الضاد والفاء، منشورات علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان /2004، ص248.

[2]– الزمخشري، أساس البلاغة، مادة"فضو" ،الجزء2، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط(1998) ص27.

[3]– طارق زيناي، امتدادات الفضاء الزمكاني وأنساقه العرفانية في المخيال الشعري عند ابن الفارض، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان–2019، بدون طبعة، ص8

تحقيق استكشافات منهجية للأماكن، فالفضاء المعادل للمكان لا يقصد به بالطَّبع المكان الذي تشغله الأحرف الطباعية التي كُتبت بها الرواية، ولكن ذلك المكان الذي تصوّره قصَّتُها المتخيلة» .[1]

2 –مُشكلة مصطلح ''الفضاء'':

يتضح من التحديد السابق أنَّ حميد لحمداني ينطلق من جدلية الفضاء والمكان، ويُفصّل في قوله الفضاء كمعادل للمكان (الحيز الجغرافي)أي أنّه لا يقصد المكان بعينه وانّما الفضاء الذي يتحرك فيه الأبطال. ويُعرّف الفضاء بأنَّه «مجموعة الأمكنة التي تقوم عليه الحركة الروائية المتمثلة في سيرورة الحكي سواء تلك التي تمَّ تصويرها بشكل مباشر، أم تلك التي تدر بالضرورة وبطريقة ضمنية مع كل حركة حكائية ».[2]

ولاشك أنَّ محاولة لحمداني جديرة بالتقدير، لأنّه يفضل استخدام مفهوم المكان وتوسيع دلالته و قد جعلت "جوليا كريستيفا"« الفضاء الجغرافي دليلا على حضارة عصره، حيث تسوده ثقافة معينة أو رؤية خاصة للعالم أطلقت عليها إيديولوجية العصر، بمعنى أن لكل عصر ثقافته وفي إطار الفضاء الروائي نستطيع القول وفق رؤية النقاد والمثقفين لمفهوم الفضاء الروائي، أنه يتشكل من عوامل طبيعية جغرافية وإنسانية وثقافية وفكرية تشكل رؤية الأديب أو الفنان، بالإضافة إلى ما ذهب إليه الأدباء والنقاد من تحديد مفاهيم الفضاء».[3]

" فكريستيفا" ترجع أهمية الفضاء الجغرافي إلى مكانته الحضارية، فهو يتطور عبر الأزمنة من جيل إلى جيل من خلال الرؤية الخاصة لكل جيل واختلاف الثقافات فيما بينهم، وأمَّا الفضاء الدلالي فيشار به إلى دال ومدلوله؛ فالصورة الصوتية التي تخلفها لغة الحكي وما ينتج عنها من تأويل ومعان مجازية، والفضاء النصي هو المساحة الذي تشغلها الكتابة الروائية من معلومات تتضمن وصف خارجي وداخلي لمحتوى النص..

بينما يرى بعض الحكماءُ الفضاء أو المكان «ذلك السطح الباطن من الجسم الحاوي المماس للسطح الظاهر من الجسم المحوي، ويراه المتكلمون ذلك الفراغُ المتوهم الذي يشغله الجسم ،وتنقد فيه أبعاده وهو نوعان :فضا أو مكان مُبهم عبارة عن مكان له اسم نسميه به، بسبب أمر داخل في مسماه، وفضاء أو مكان معين عبارة عن مكان له اسم سُميَ به بسبب أَمر داخل في مُسماه.[4]»؛

إذن فالفضاء هنا هو المجال الفسيح التي تتعدد فيه مختلف التصورات والروئ لدى أي باحث أو روائي.

---

[1] –حميد لحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الادبي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط1 1991، ص65

[2] –نفسه، ص64

[3] –حسن عليان، تقنيات السرد وبنية الفكر العربي في الرواية العربية، دار الآن ناشرون وموزعون، القاهرة 20،ط2015، ص118

[4] –الجيلالي الغرابي، مكونات السرد(شجيرة حناء وقمر"انموذجا"، دار الأكاديميون للنشر والتوزيع، عمان/الأردن، ط2016،ص11

كما أنَّ الناقد سعيد يقطين يتفق مع حميد الحمداني في التمييز بين مصطلحي الفضاء والمكان فيقول: «إنَّ الفضاء أهم من **المكان** لأنّه يشير إلى ما هو أبعد وأعمق من التحديد لجغرافي وإن كان أساسياً، إنَّه يسمح لنا بالبحث عن فضاءات تتعدى الحدود والجسد لمعانقة المتخيل الذهني ومختلف الصور التي تتسع لها مقولة الفضاء».[1]

اهتم سعيد يقطين بالفوارق التي تتشكل بين مصطلحي "الفضاء"و "المكان" حيث يكتسب الفضاء عنده أهمية كبيرة ويتجاوز أبعادا كثيرة.

ويرفض الناقد عبد المالك مرتاض مصطلح الفضاء ويستبدله بمصطلح يراه الأنسب في الوصف، وهو مصطلح (الحيز) يقول في ذلك «لقد خضنا في أمر هذا المفهوم وأطلقنا عليه مصطلح "الحيز" مقابلاً للمصطلحين الفرنسي والانجليزي :(Espace ، Space)، في كل كتاباتنا الأخيرة، وقد حاولنا أن نذكر في كل مرة عَرَضنا

لهذا المفهوم علة إيثارنا مصطلح "الحيز" وليس "الفضاء" الذي يشيع في الكتابات النقدية العربية المعاصرة، فمصطلح الفضاء من منظورنا على الأقل قاصر بالقياس الى الحيز، لأنَّ الفضاء من الضرورة أن يكون معناه جارياً في الخَواء والفراغ، بينما الحيز لدينا ينصرف استعماله إلى النُتوء، والوزن، والثّقل والحجم والشكل».[2]

وممّا هو ملاحظ فإنَّ عبد الملك مرتاض يفضل استعمال مصطلح الحيز بدلاً من مصطلح الفضاء، وهذا ما أشار اليه في بعض كتاباته النقدية مثل ماجاء في كتابه (القصة الجزائرية المعاصرة)، فقد خصص محورا كاملاً تحدث فيه عن خصائص الحيز الروائي في القصة الجزائرية، لأنَّه يرى أنَّ الفضاء يشمل اكثر من حقل معرفي بينما الحيز هو الأقرب وصفا للدراسة الأدبية.

وأمّا «حسن البحراوي في كتابه بنية الشكل الروائي استخدم مصطلح **الفضاء** بدل المكان واعتبر أنَّ الفضاء الروائي لاينشأ إلاَّ من خلال العلاقة التي تربطه بالشخصيات، لأنَّ الفضاء في الرواية ما هو إلاَّ مجموع العلاقات الموجودة بين الأماكن والوسط والديكور الذي تجري فيه الأحداث والشخصيات التي يستلزمها الحدث، أي الشخص الذي يسرد القصة والشخص المشارك فيها، فالمكان لا يتشكل بعيدا عن وجهة نظر الشخصية التي تعيش فيه أو تخرقه .[3]ويتجلى ذلك في قوله «يمكن اعتبار الفضاء الروائي بمثابة بناء يتم إنشاؤه اعتمادا على المميزات والتجديدات لتي تطبع الشخصيات، بحيث يجري التحديد التدريجي ليس فقط لخطوط المكان الهندسية

---

[1]–سعيد يقطين، البنيات الحكائية في السيرة الشعبية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء/بيروت،ط1997،ص240

[2]–عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد، المجلس الوطني لثقافة والفنون والأدب، الكويت، شعبان1419هـ ص42

[3]–توتاي سيف الله هشام، تجليات الزمكان في بنية الخطاب السردي(دراسة تطبيقية في راية من قتل أسعد المزوري) للحبيب السائح، دار المثقف للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى1442هـ-2021م، ص191

وإنَّما أيضاً لصفاته الدلالية وذلك لكي يأتي منسجماً مع التطور الحكائي العام» [1].فالفضاء السردي عنده يتمحور حول تفاعل الشكل الهندسي مع الأحداث والشخصيات.

ثُم نجده أحياناً يستخدم المكان وهو يريد به **الفضاء** فيقول«الفضاء الذي درسه الشعريون يتميز بكونه ليس فقط هو المكان الذي تجري فيه المغامرة المحكية ولكن أحد العناصر الفاعلة في تللك المغامرة نفسها».[2]

وأمَّا بخصوص رؤية بعض النقاد والباحثين من أنَّ الفضاء «يتشكل من عوامل طبيعة جغرافية وإنسانية وثقافية وفكرية تشكل رؤية الأديب أو الفنان، بالإضافة إلى ما ذهب إليه الأدباء والنقاد من تحديد مفاهيم الفضاء الروائي؛ ولاشك أنَّ منظور الأديب ورؤيته تختلف من أديب إلى آخر، وفق مخزونها الثقافي والفكري، ووفق مرئياته لعالم الواقع ومعطياته التي يعيشها الأديب أو يدركها أو يقف عليها، والتي تشكل رؤيته لشخصياته، وهو ينسج هذه الشخصيات، وتُعَدُ هذه الشخصيات أقنعة الراوي أو الأديب التي تَعكس مفاهيمَه وقيمه ورؤاه، وهو يُجَسد فيها نبض الحياة والحركة والرؤية والمواقف والسلوك» .[3]

فالفضاء ليس مجرد خلفية درامية تقع فيها الأحداث فقط، وإنَّما هو عنصر يحمل أبعاد تتجاوز محيط النص ويصبح مؤثرا متصلاً في سائر العناصر التكوينية داخل الرواية .

ومّا يُؤكد هذا الكلام اعتبار بعض الدَّارسين أنَّ الفضاء «يُعد من العناصر الهامة والمرنة في الفنون على اختلافها ولاسيما فن العمارة من الناحية الجمالية فهو الغاية والهدف لهذا الفن ،وهنا يُركز على عنصر الفضاء في التكوين المعماري لاستثمار (المكان والحيز والمسافة) وهو لايعني إغفال جانب الترابط بين داخل التكوين وخارجه وماله من تأثيرات جمالية في التكوين» .[4]

وفي الآخر نستنتج أنَّ الفضاء يمثل مسرحاً شاسعاً تتجسد عليه أحداث ووقائع الرواية، بحيث لا يمكن أن تقع الأحداث وتستمر إلاَّ بوجود شخصيات عديدة لها أمكنة تضمها وتحتويه، ولهذه الأمكنة دور بارز في رصد الأبعاد الفكرية والنفسية للشخصيات حيث يكتسب الفضاء أهمية قصوى في تشكل الفرد وأحاسيسه وانفعالاته منذ نموه ومن هذا الارتباط يبرز الوعي والإحساس عند الفرد بالانتماء إلى الفضاء المحدد

فهذا الأخير هو العالم الفسيح الذي تنتظم فيه الكائنات والأشياء والأفعال وهو أول ما يتصوره أي فنان وأي كاتب فهو بمثابة المادة الجوهرية للكتابة الروائية، ومكوّن رئيسي في ارتباطه الفعال لمكونات الرواية وهنا تكمن جمالية الفضاء في العمل الفني .

---

[1] حسن البحراوي، بنية الشكل الروائي (الفضاء ،الزمان ،الشخصية)، المركز الثقافي العربي،ط2009/2 ،ص30

[2]– البحراوي، بنية الشكل الروائي (الفضاء ،الزمان ،الشخصية)، ص28

[3]–حسن عليان، تقنيات السرد وبنية الفكر العربي في الرواية العربية، ص 119

[4].–عارف وحيد ابراهيم الخفاجي، فلسفة الفضاء في الرسم العالمي المعاصر، الدار المنهجية للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأولى(1437هـ-2016م).

3-العلاقة بين الفضاء والشخصيات:

يرى بعض الدارسين أنّ الفضاء «يمثل مسرحاً تجري فيه الأحداث وتتصارع في ميدانه الرحب الواسع الشخصيات والأفكار ،ويمنحها البيئة المناسبة التي تعمل فيها وتعبر عن وجهات نظرها ويحمل رؤيات الأبطال ورؤاهم، ويجسد منظور المؤلف، ويساهم في تطوير بناء العمل السردي، ويكتسح حياة الإنسان ويعيش معه...[1] وقد تمكنت الرواية الجديدة من تجسير العلاقة القائمة بين الفضاء والشخصية من خلال التعبير عليها بالصلات الأتية : [2]

1-«**التفاعل الايجابي** :(التجاوب مع المكان): وفيه تُؤثر الشخصية في المكان ويُؤثر فيها .

2-**التفاعل السلبي**: (**التنافر**) :أن يكون المكان غريباً (المنفى)، والشخصية ذات طموح وملامح مدنية أخرى تحاول إعلان انسلاخها عن المكان .

3-**علاقة الحياد**: وفيها لاتتأثر الشخصية بالمكان ولايؤثر فيها، فكل منهما منفصل عن الآخر.

ومن ثم يُمكن القول أنَّ العلاقة بين المكان والشخصية هي: علاقة تكامل وانسجام تتمحور في عدة أشكال ،فقد تكون العلاقة بينهما، علاقة تجادب وتأثير وتَأثُر، وقد تكون علاقة تباعد وتوتر وربما تصل إلى انقطاع، ويمكن أن تكون علاقة عدم انحياز بحيث لاتحدث بينهما ترابط وانسجام.

وإذا كان الفضاء هو مصدر فعال في تحريك الشخصية والحدث فإنَّ عند "عز الدين ميهوبي" «قد أخذ منحى فعالاً ووظيفيا في الأحداث، وتوحداً بالشخصيات، الشيء الذي جعله يَكتَسب دلالة رمزية تَجعل منه جسَداً يتخذ شكل مدينة أو وطن، غني بالدلالات، فتصبح علاقة الفرد به علاقة بالجسد الفردي أو الجماعي، فهو فضاء الجسد؛ لذلك لم يكن المكان بأبعاده الجغرافية ولا بهندسته، بل هو الذي يَحمل أبعادا اجتماعية وتاريخية وسياسية ونَفسية، تظهر من خلال تخلف الفضاء في العمل الروائي[3]، ومن ثم يمكن القول أنّ علاقة الفضاء بالع ناصر السردية الأخرى قد تجاوزت أبعاداً كثيرة ممّا جعل للفضاء أهمية أكثر من ذي قبل.

وفي الآخر يمكن القول أنَّ الفضاء السردي يعتبر أحد الركائز الأساسية والمكونات الرئيسية في النص السردي؛ فمن غير الممكن أن نجد رواية دون فضاء، ذلك لأنّه من الضروري لكل حدث أن يأخذ وجوده في مكان محدد وزمان معين، حيث يكتسي الفضاء دوراً هاما في البناء الفني والجمالي للرواية فلا غنى عن الفضاء في أي عمل فني أدبي.

---

[1]-الجيلالي الغرابي،مكونات السرد"شجيرة حناء وقمر انموذجاً"ص13

[2]-روباش إيمان، شعرية الفضاء في رواية الأمير "واسيني الأعرج"، مجلة تاريخ العلوم،جامعة البليدة، العدد السادس، ص16

[3]-سمية قندوز، اعترافات اسكرام "لعز الدين ميهوبي فضاء للبوح والانتقام، مجلة سرديات الصحراء-مجلة دورية محكمة، جامعة الجزائر2، ص122

المبحث الثاني: مفهوم الصحراء وخصائصها :

1-مفهوم الصحراء:

أ-لغة:

لاشكَّ نَّ الصحراء هي تلك المنطقة القاحلة، التي تتصف بشدَّة جفافها وحرارتها الدائمة، حيث تعتريها تقلبات الجو القاسية من رياح وزوابع رملية، وظروف الطقس المعادية للنباتات والحيوانات بحيث تقل فيها الأمطار والرطوبة، والصحراء هي الجانب المقابل أو العكسي للمحيط المائي.

ولطالما كانت الصحراء مرتبطة بالخوف والهلع والأساطير والخرافات عند القدماء، فإنَّها تعرف في دلالتها اللغوية عند أهل المعاجم كما جاء فيما يلي:

جاء "قاموس المحيط "مادة "صحرَ" : «الصحراء، اسم سبع محال بالكوفة والأرض المستوية في لَين وغلظ دون القف، أو الفضاء الواسع لانباتَ فيه، وإنَّما لم يصرف للزوم حرف التأنيث، ج:**صحَارى وصحاري وصحراوات، وأصحروا برزوا فيها**» .[1] فهي ذلك المكان الواسع الشاسع ذو الأرض المنبسطة العارية الخالية من الأشجار والنباتات.

وقد وردت كذاك لفظت "صحر" المكونة من الصاد والحاء والراء في معجم مقاييس اللغة بمعنى: «أصلان أحدهما البراز من الأرض والآخر لون من الألوان، فالأول **الصحراء**: الفضاء من الأرض، ويُقال أصحر القومُ إذا برزوا ».[2]

وفي كتاب النهاية في غريب الحديث والأثر في مادة (صَحَر) «وفيه كُفّن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في ثَوبين صُحاريَّين :صُحَار:-قرية باليمن نُسب الثَوب إليها ،وقيل هو منَ الصُحرة، وهي حُمرة خفيَّة كالغُبرة، يُقال ثَوب أَصحرُ وصُحَاريٌّ وفي حديث علي رضيَّ اللَّه عنهُ .فأصحر لعَدُوّك وامضْ عَلَى بَصيرَتك (أَيْ كُن منْ أَمره على أمر واضح منكَشف ،من أَصْحَرَ الرجل اذا خَرَج إلى الصحراء» .[3]

وفي تاج العروس :قَال ابنُ شُميل :الصحْراءُ من الأرض :مثلُ ظَهر الدّابة الأجْرَد، ليس بها شجرُ ولا آكام ولا جبال ،مَلْسَاءُ، يُقال صحراءُ بَيّنَة الصَّحَر والصُحْرَة».[4]

أمّا في **معجم اللغة العربية المعاصر** فقيَّد القول: « صَحراء /صَحَراءُ: (مفرد)، جمع: صحراوات وصحَارى وصحار وصَحاريّ: أرض فضاء واسعة نادرة الماء مرتفعة درجات الحرارة ولاحياة فيها "يعيش البدو في الصحراء

---

[1]- الفيروز آبادي، القاموس المحيط، دار الحديث /القاهرة، الطبعة :1429هـ-2008م، الجزء2، ص915

[2]- أحمد بن فارس بن زكريا الرازي، معجم مقاييس اللغة ، دار الكتب العلمية، الجزء2 ، ص33

[3]-ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، المكتبة العلمية-بيروت 1399هـ-1979م ،ج3 ،ص12

[4]-الزَّبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق:مجموعة من المحققين ،دار الهداية ،ج12 ،ص286

حياة صعبة، سفينة الصحراء: الجمل.»[1] فبسبب جفاف الأرض وقلة المياه وانعدام الغطاء النباتي ممَّا يعرض ساكنيها إلى معانات وصعوبة في العيش، فمعظم سكان الصحراء في إفريقيا وأسيا رعاة يتنقلون من مكان لآخر بحثا عن الظروف الملائمة لتوفير حياة أفضل .

وللإبل مكانة مرموقة عند سكان الصحراء نظراً لصبره وسيره لأيام عدّة من دون ماء و ربما حتى لأسابيع .

هكذا اتفق علماء العرب في المعايير التي تستوجب في تسمية ونعت المنطقة كونها **صحراء**، فمنهم من يعتمد على مساحة الأرض اليابسة أو على الصبيب السنوي للأمطار بحيث تقلُّ الأمطار في المناطق شبه القاحلة، والعوامل الجوية المتمثلة في الرياح والزوابع الرملية وارتفاع درجة الحرارة، ومنهم من يطلق لفظة **الصحراء** على كل منطقة قليلة النباتات نادرة المياه ممّا يسبب جفاف التربة، فالنباتات بحاجة لتكيفات خاصة من أجل البقاء حية .

وقد أجادت العرب قد اجادت في وضع أسماء وصفات عدّة تلمح فيها إلى معاني الصحراء ودلالاتها وعللى ما تمتاز به عن غيرها من أنواع البقاع والأراضي .

الانجليزية عن الفرنسية واللاتينية Désert ودخلت هذه الكلمة «اللغات الأوروبية بصورت **صحارى** واعتبرت مرادفة وتعني الأرض الجرداء المتروكة وأحياناً المهجورة، وارتبطت هذه الكلمات بالألوان فقيل أنَّ الأصحر هو الأشهب أو غبرة في حمرة خفيفة إلى بياض قليل.[2]فالصحراء عند الغرب هي الأرض الجرداء التي لازرع فيها ولا ماء أو الأرض لغير مسكونة تشير إلى الخواء الخالية من مقومات الحياة.

كما اختلف الغرب في أصل تسميتها بالصحراء « :فمن قائل أنَّها سميت لكونها مساحة شاسعة مهجورة وهو رأي هنري ديفيرييه، أو لأنَّها الأرض الصلبة وهو رأي الجيولوجي بومل .وكلا التسميتين تستجيبان لواقع الحال :لأنَّ الصحراء فعلا رقعة شاسعة، ولأنَّ المحارات التي تشغل الجزء الأكبر من سطحها هضاب صخرية تعلو مستوى الرمال المتحركة المحيطة بها بتسعة أضعاف كما يقولون، ومن الصعب تحديد مساحة قاطعة لصحراء.[3]

ومن ثم فإنَّ دلالة الصحراء عند علماء الغرب لها معاني عدّة كما أشرنا إلى ذلك، متباينة فيما بينها لكنها تتفق على أنَّها تلك الأرض الشاسعة التي تأخذ حيزا كبيرا في العالم .

ونذكر بعض الصفات والدلالات التي تحمل معنى الصحراء في المعاجم العربية :

1-البرية :هي الصحراء والجمع البراري[4]

---

[1]- أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصر، عالم الكتب-القاهرة ،الطبعة 1، المجلد 1، ص1271.

[2]-امينة بلهاشمي، المكان وشعريته في ضوء المنهج السيميائي (دراسة نمودجية في الشعر العربي والجزائري الحديث)، ص80.

[3]-أ.ف.جوتييه، أحمد كمال يونس، الصحراء، وكالة الصحافة العربية (ناشرون)، الجيزة –جمهورية مصر العربية، الطبعة2018 ، ص4

[4]-الفيروز آبادي، القاموس المحيط ،مادة برر، ص285

2-البثنة :الأرض السهلة اللينة وبه سميت المرأة بُثَينة .وبتصغيرها سميت بثنه.[1]

3-البَيداء :وهي الفلاة والمفازة لا شيء فيها، وسميت الصحراء بيداء لأنّها تبيد سالكها، والإبادة الأهلاك والجمع بيد وبيداوات.[2]

4-التيهاء :الضلّة الواسعة التي لا أعلام فيها ولا جبال ولا إكام، والتيه :المفازة يُتاه فيها .[3]

وهناك صفات عديدة أطلقها العرب للدلالة على الصحراء، وهنا تظهر قوة وجمالية اللغة عند أهل البادية في العرب

ب-اصطلاحا :

الصحراء هي الخوف والرهبة، هي الضياع والتيه والعطش والدمار أو الموت، هكذا قد توحي لبعض السواح الأجانب على عكس ساكنيها، لأنَّها بالنسبة لهم فضاء غير مألوف لديهم وبالتالي تحدث توتراً قوياً في نفوسهم.

تعرف الصحراء أنَّها أرض منبسطة يابسة واضحة المعالم والآثار، تقلُّ فيها المياة، لا يعتريها التعقيد في التضاريس والأشجار، وإذا قلنا أنَّها لا توجد أمطار بالصحراء كنا أخطئا في القول لأنّها توجد لكنها ضئيلة جدّا، ولا نظام يخضع لها في سقوطها، فهي بذلك «فضاء واسع ممتد لا ماء فيه كالأنهار والجداول ،قليلة الأمطار والنباتات وجو جاف، فما من حديث عن الصحراء الاَّ وكان مجسداً لصلابة صخور الصوان، ولهيب الشمس فوق رؤوس الخلائق وزفير الرياح، وعويل الوحوش الشوارد،وهو الفضاء المفتوح على كل سارد، وعلى كل ما يتربص بالنَّاس ويلحق بهم الأذى ممّا يضفي على الصحراء الرهبة».[4]ولهذا تعدُّ الصحراء لدى الكتاب مكاناً مرتبط بالمغامرات والأساطير والعجائب، فهي فضاءً واسع للتأمل والتفكير، وتبدو عالماً مغلقاً قاسياً لا يحتمل ممَّا دفع إلى الهجرة وخوض رحلة الموت فأداة الموت العطش، فالعطش ملازم للصحراء وذلك لقلة وجود المياه فيها وحرارتها المرتفعة .

وبالرغم من أنَّ الصحراء أرض قاسية تعتريها ظروف الطقس المعادية للحياة، قاحلة بطبيعتها فقيرة بإنتاجها الزراعي والمادي إلاَّ أنَّ هذا الفضاء الساحر « استطاع على مرّ الأيام أن يجذب إليه الانسان ويستقطبه ويغريه ليس بسحره وعجائبيته فحسب ولكن بروحانيته العبقة وأسراره الخفية التي وقف الانسان أمامها مسدوهاً مذهولاً

[1]-ابن منظور ،لسان العرب، ج13،ص46

[2]-الفيروز آبادي، قاموس المحيط، ج1، ص385

[3]-ابن منظور، لسان العرب، م1، ص342

[4]- أمينة بلهاشمي، المكان وشعريته في ضوء المنهج السيميائي (دراسة نموذجية في الشعر العربي الجزائري الحديث)، دار المعتر للنشر والتوزيع ص120.

لا مستشعر، اضآلة شأنه وصغر حجمه ومن ثم نشأت هذه العلاقة الغامضة الملغزة بين الإنسان الصحراء والتي تجلت في أسطورة انسجت خيوطها من خيال الإنسان».[1]

فقد شهدت الصحراء تراث ثقافي عظيم إذ كانت أفضل مواطن للأساطير والأشعار والأديان «فمنذ القدم كانت الصحراء صور تخييلية، فهي في النصوص الدينية فضاء للخلوة والعزلة فيه يتم اللقاء بالإله والاستماع إليه »[2] فقد استعملت كفضاء تخييلي وميتافيزيقي مؤهل لاستقبال التعاليم الإلهية.

ثانيا– خصائصها :

لقد كانت الصحراء مصدر إلهام الشعراء والروائيين العرب فهي تتميز بطابع خاص «فهي فضاء بكثبان وفضاء بواحات، وفضاء بسماء وافق منطبقين، فضاء بألوان قوس قزح، فضاء بجفاف ومطر وخيول وجمال، وعيون ماء فضاء متصل اتصالاً مباشراً بالسّماء، فكانت الأديان، وفضاء عطي لأجزائه تمازجاً كلياً في لوحة كونية لاحد لامتداداتها» .[3] ففيها من السحر مالا يمكن إدراكه إلاَّ بزيارتها فهي بحر واسع من الرمال، ليست له حدود واضحة المعالم تحتوي على أكثر من رمال ذهبية ناعمة، هي لحن عذب من ألحان الطبيعة الكريمة التي تعطي من دون مقابل، يحتاج هذا الفضاء الساحر والرائع إلى عين تلتقط الجمال وتنظر إليه من الوجدان وتتأمل إبداع الله في الخالق في خلقه، فالسحر الذي تضفيه الصحراء يشعر الشخص الذي يقصدها بحرية وأريحية، هدوء وسكينة وأمان يتنقل بين أرجائها الواسعة بأريحية كبيرة نظراً لمساحاتها الواسعة الخالية من ضجيج السيارات وضوضاء المدن، يسير في كل الجهات دون أن يصطدم بأي شيء .

ولطالما كان هذا الفضاء الساحر محل لاستقطاب السياح والزوار من أجل الاسترخاء والراحة والترفيه فهي فضاء «واسع رحيب يَمتد أفُقه أمام الناظر فيُرجع بَصره خاسئاً وهو حَسير، تشكيلاته المتنوعة تضفي شيئاً من الهيبة والجلالة سواء كانت في شكل بحار من الرمال أو في شكل أوتاد من الجبال السامقة الجرداء أو في استواء تام حتى تطبق السَّماء على الأرض، تضيف الطبيعة إلى ذلك الفضاء قساوة مطلقة في جذبها وقلة مائها وشدة حرارتها وشساعة مساحتها، والإنسان العربي ابن هذه البيئة الصحراوية من الطبيعي جدا أن يبدع في وصف العلاقة التي تربطه بها» [4]. فالصحراء جميلة ومثيرة لكنها تحمل الكثير من الغموض الذي تسعى النفس البشرية إلى كشفه مع التحلي بالصبر والاهتمام طبعا، فلايكاد يعرف الصحراء إلا القلة من الباحثين والمهتمين .

---

[1]–حسين بوحسون، فضاء الصحراء :جدل المكان والإنسان ،مجلة دراسات، جامعة بشار، العدد الثاني، ديسمبر 2012، ص157

[2]–حسن المودن، الرواية والتحليل النصي (قراءات من منظور التحليل النصي)، دار الآمان، الرباط، ط1،2019، ص 127

[3]–ياسين النصير، الرواية والمكان (الموسوعة الصغيرة)، دارالشؤون الثقافية العامة(وزارة الثقافة والاعلام)، العراق–بغداد، ط2، ص1

[4]–حسين بوحسون، فضاء الصحراء (جدل المكان والانسان) ، مجلة الدراسات، جامعة بشار، العدد الثاني، ص156

إنَّها تختلف عن غيرها من البيئات، لما لها من خصائص وجماليات تميزها عن غيرها، ومن خصائصها مثلا:

1-الطقس الجوي : تحمل الصحراء تناقضاً كبيراً بين فصولها وليلها ونهارها، ولأنَّها جافة جداً والرطوبة فيها منخفضة، وليس لديها غطاء يساعد في حماية وعزل الأرض، نتيجة لذلك تضرب أشعة الشمس تربة الصحراء بكل قوَّتها وتصبح حارّة ساخنة جداً أثناء النهار، لكنَّ عندما تغرب الشمس قد تفقد الأرض نسبة كبيرة من الحرارة ،فالأراضي الرملية تتميز بقدرتها الفائقة على امتصاص الحرارة بشكل أسرع، ممّا يسَاعد الصحاري على أن تصبح باردة جداً بمجرد غروب الشمس، ويحلُّ هدوء كبير لايخلوُ من أصوات حشرات الليل وحيوانات الليل الصحراوية

التي تأقلمت مع جوّ الصحراء، ويمكن لبعض الصحاري أن تتجاوز درجة حرارتها 38 درجة مئوية خلال النهار ثم تَنخفض إلى تحت الصفر أثناء الليل.

ونظراً لتقلبات الظروف الطبيعية للمناخ الأمر الذي تظهر معه رياح موسمية، حيث تُزيل الحبيبات الصغيرة مثل الرمل، وتَنحت أشكالاً رائعة في شكل لوحات فنية وتعطي رونقاً لتلك المساحات الشاسعة، وكذلك نتيجة التقلب الجوي قد يحدث عواصف رملية (زوابع) هي عواصف على شكل غيمة منخفضة من الرمال في الهواء قريبة من سطح الأرض، تتحرك كالخلاط لتأخذ معها كل ما يوجد فوق الأرض، وهي عواصف خطيرة تقلل من الرؤية بصورة كبيرة وتلوث مياه الشرب كما تتميز الصحراء بهوائها المنعش بعيداً عن هواء المدن وعن التلوث الناجم من المحيطات والبحار، أمَّا الحديث عن الأمطار في الصحراء فإنّها نادرة ولانظام يخضع لها في سقوطها، فأحياناً تأتي عواصف مفاجئة من الأمطار الغزيرة تُكون بحيرات وأنهار وتبتل الرمال وتبعث رائحة طيبة زكية وتسمى هذه الرائحة ب (نْدى) نتيجة اختلاط لماء مع الرمل.

2-**من الطبيعة(الكثبان الرملية)**: يتمكن الشخص من التمتع بالكثبان الرملية و الاسترخاء عليها وردم حبسه فيها لأنّها هي علاج فعال لبعض الأمراض المفصلية، فلها سرُّ عظيم لايُعرفه الاَّ سُكانها ومن زارها، تشكل هذه الكثبان منظومة لفن الرسم، حيث استطاعت الرياح أن ترسم برمال الصحراء الناعمة هذا الأثر الطبيعي الرائع من لوحان فنية بغاية الدقة والجمال، قد يرى العلماء الكثبان بوصفها صورة مخيفة ومرعبة لأشد أنواع التصحر، في حين يراها الشعراء والأدباء مصدر لإلهام والتغني بسحرها، وعلى الرغم من أنَّ الصحراء قاحلة ، إلاَّ أنَّها لاتخلو من وجود الواحات الجميلة الخلابة في عديد من الأماكن الأثرية، ويَتجمع الناس عادة في هذه الواحات قرب الماء قصد التنزه والاستراحاء.

3-**الحيوانات** :يَعيش في الصحراء عددُ كبير من الحيوانات والحشرات فهي تنام في فترة النَّهار الحارَّة، وتَخرج في الليل سَعياً وراء الطعام، وغالباً ما تعيش هذه المخلوقات تحت الأرض، حيث لايصل الحرُّ أو البرد إليها، وبعضُها يقضي الصيف أو القسم الأكثر حرًّا من السنة في النوم، يعيش بعضُ الحيوانات، كالكَنغر والجردَ والبربييل من دون ماء، أو يَتناول القليل منه، أمَّا العُلجوم الذي يَعيش في الصحراء في أستراليا فيخزن الماء في جسمه، بَيْنما تُغير

الزواحف حرارة أجسامها لمكافحة الحرّ والبرد والظمأ» [1]، أمَّا الجمل يعتبر سَفينة الصحراء وصديق كل مسافر عبرَ الرمال الشاسعة، هو حيوان يتغذى على الحشيش والحبوب والتمر، وَيتناول النباتات الشوكية التي لاتستطيع الحيوانات الأخرى تناولها، حيثُ يضرب به المثل في تَحمل العطش لفترات طويلة جداً ففي فصل الشتاء والربيع يُمكنه أن يعيش مدَّة طويلة تتراوح بين شهرين إلى اربعة أشهر دون أن يَشرب الماء، وهناك حيوانات برية كَثيرة في الصحراء خاصةً الغزلان بأنواعها والنعام وكثير من الزواحف كسُلحفاة والأفاعي والعقرب وحيوانات أخرى مألوفة وغير معروفة.

4-النباتات: تَتَّسمُ الصحراء بغطاء نباتي يتماشى مع جوّها وحرّها ،حيث تُقاوم ظروف الجفاف بتَخزينها لكميات من المياه في باطنها، و«تتميز الترب الصحراوية في الوطن العربي بقلة مادتها العضوية تنخَفض نسبة المادة العضوية في كثير من جهاتها 0.1 بالمئة، حيث تُشَكل المادة المعدنية معظم جسم التربة أي حوالي 99.9 بالمئة، ويعود سبب ذلك لقلة مياه الأمطار التي تؤدي إلى انخفاض القدرة البيولوجية للتربة، وضعف غطائها النباتي مما يؤدي إلى انخفاض نسبة المادة العضوية فيها[2]، ومن النباتات التي تشتهر في الصحراء :السدر والشيح والشوك ونبات الصبَّار، النعناع وكثير من الأعشاب الذي يستخدمونها لتداوي من شتى الأمراض، إضافة الى النخيل بأنواع ثمارها.

كما يُعتبر إعداد مشروب عشبة الشاي رمز للضيافة والكرم لدى سكان الصحراء، «فقد أولى هؤلاء لهذا المنبه العشبي أهمية كُبرى في إعداده ،كما القهوة العربية المدقوقة بالهاون، ومن مميزات شاي الصحراء عند إعداده، أنَّه ذو طعم مُر يتحول إلى حلو بالتدرج، وإن كُنتَ من متذوقات هذا الشاي، فإليك طريقة سهلة تخولك الحصول عليه في غصون دقائق وهي:[3]

1-سخن ربع ليتر من الماء في إبريق الشاي الفخاري حتى يغلى .

2-أضيف أوراق الشاي الأخضر بمقدار فنجان قهوة .

3-دعه يغلى على نار هادئة لمدة 10 دقائق.

4-ضع أربع فناجين صغيرة من سكر القصب في إبريق آخر، صب الشاي الذي تم غليه في الإبريق الأول...

5-بعد مزج الشاي بسكر القصب، كرر العملية بإعادة صبه في الإبريق التاني حتى تظهر الرغوة التي تنذر بجهوزية الشاي للشرب»

---

[1]-مكتب البحوث في دار الفكر، الموسوعة العلمية الشاملة (علوم الأرض والكون)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان-بيروت)، ص 73.

[2]- فارس صبري الهبتي، التصحر (مفهومه-أسبابه-مخاطره-مكافحته)، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، الأردن/عمان، ط2020/8/18، ص.135

[3]-هُيام محمود رزق، أسرار العلاج بالشاي والحمضيات، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، بيرت-لبنان، ط1، ص45

5-**سُكانها** :فَجمال الصحراء وسحرها، لايتوقف على طبيعَتها وبيئتها فقط، بل يشمل حتى أهلها وسكانها الذين يَتميزون بالشهامة والكرم وحسن المعاملة والتحدث بالحكم والأمثال الشعبية، وكأنَّ قساوة العيش في الصحراء جعلت من شخصية أبنائها شخصية متميزة وفريدة في نوعها، وخير دليل على ذلك تلك الشخصيات العظيمة من علماء في الدين(المشائخ) وشعراء وأدباء عرب قدماء عاشوا وترعرعوا في الصحراء.

فالصحراء ملأت على البدو «قلبه ونفسه وكيانه وتفكيره وعاطفته وخياله، فكان نتاج ثمرة ذلك أشعارهم التي بين أيدينا وأعطته حضور البديهة والذكاء اللماح، ولذا جاء أدبه أدب السليقة والبديهة ينزع الوضوح والإيجاز في المعنى، وتغنى البدو بالصحراء رغم مابها من شدَّة فأجاد في وصفها لما فيها من جَمال، فكان الجمال في الإنسان والنبَات والماء والكواكب والسَّماء والجبل الأشم والصخر وفي الصحراء الموحشة، والجمال ماثل في كل خلق من مخلوقات الله تعالى، فجاشت نفسه بكلام يحمل صفاء والنقاء.».[1]

فالإنسان الصحراوي عنى بتراثه العريق وتقاليده الأصيلة الذي تعكس واقعه وهويته، فاتسمت رؤيتهم لصحراء بالاعتزاز والفخر بالنفس والإحساس بمكانة الوطن والمنزل في قلوبهم، حيث تجلى ذلك في كتاباتهم وأشعارهم وقصائدهم....

المبحث الثالث: تجليات الفضاء الصحراوي في الرواية الجزائرية:

1-التجريب الروائي الجزائري في الفضاء الصحراوي:

تعتبر الرواية صورة تعكس لنا حياة وواقع المجتمع والفرد، حيث تمكنت هذه الأخيرة في دراسة تقاليد وثقافة المجتمع العربي، وأصابت قدراً من النضج الفني في الاهتمام بالفضاء الروائي من الجوانب الجغرافية والتُراثية والاجتماعية..

ومن خلال هذا، يجعلنا نذهب إلى أنَّ الرواية في الصحراء، تعلقت بكل مكونات الصحراء ممّا شكل لنا فضاء شاسع أبُني من خلال رؤية الكاتب ويمكن الإشارة إلى أنَّ الفضاء الصحراوي في النص الروائي من أهم الفضاءات في الأعمال الفنية نظراً للخصوصية التي يتميز بها . «فتوظيف الفضاء الصحراوي في النص الروائي يثير متعة المتلقي ويشعره بلذة خاصة، كما يشعره بالرهبة والخوف نظرا لما يحمله ذلك الفضاء من تضاد جدلي بين الحياة والموت . و لذلك كان تحريك المكان الصحراوي من أبرز السبل، وأنجعها وأكثرها جدوى لإخراج المكان من سلبيته المعتادة، ومنحه مقادير أكبر من الدينامية والفعالية، وجعله واحدا من المصادر الرئيسية لصنع الجمال الفني في الرواية .[2]

---

[1]-محمد صديق حسن عبدالهادي، الصحراء في الشعر الجاهلي، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في الأدب والنقد، إشراف عبد الرحمن عطا المنان، قسم الدراسات الأدبية والفنية، جامعة أمدرمان الإسلامية، 2008/2007، ص8.

[2]-بوداود وذناني، فضاء الصحراء والسرد السياحي في الرواية الجزائرية ، مجلة الباحث، ص51

ففضاء الصحراء عالم أخذ جرعة هائلة من السحر والجمال والإبداع، الذي يلهم الشاعر والكاتب حيث يَصف كل ما رأى بكل حماس وإبداع، واختيار الألفاظ الجزلة التي تَقوم بتأدية المعاني الفخمة التي تمثلها قسوة الصحراء وخشونة عيشها، فالصحراء نموذج جمالي يُجسد مجموعة من القيم والإنجازات العريقة التي ينجزها الإنسان أو تلك التي فقدها أو تللك التي بناها منذ الأزل.

وعليه، فقد استحال النص الروائي الجزائري إلى بناء قيم ثقافية واجتماعية وسياسية وحضارية ودينية، وإفراز تجارب روائية متنوعة .

حيث «فرض عالم الصحراء نَفسه وحضر بقوة كبيرة على النص الروائي الجزائري بحكم جاذبيته وروائع طقوسه وعاداته وتقاليده الساحرة الآسرة، وقد استطاعت بعض المدونات الروائية الجزائرية أن تكشف لنا عوالم رحبة للعالم الصحراوي المترامي الأطراف، وحاولت أن تبرز بعض مكوناته الجمالية من رمال ونبات وحيوان، ومحور هذا العالم الإنسان الذي استوطن هذا المكان منذ أقدم العصور وتفاعل معه، وتَرك بصمات واضحة تدُّل على معاناته الطويلة[1].

فالصحراء مصدر لايكاد يخلو من الرموز والدلالات والإيحاءات التي تكشف رؤية فكرية خاصة بها، مما تولد نصوصاً روائية متميزة، فاحتضنت الرواية الجزائرية المعاصرة هذا الفضاء الشاسع، وأصبح عنصراً مهماً ومميزا من عناصر السرد «فالصحراء بما حباها الخالق من خصائص جماليه تُساهم في تشكيل الأبعاد الواقعية والمتخيلة للخطاب السردي ككل، فهي تمثل بؤرة إدهاشية لأنَّها تُثير الطمأنينة والسكينة، فقد استأثرت الرواية العربية المتَعلقة بالصحراء، لجَعلها مكاناً بؤرياً بسبب ما تتمتع به الصحراء من خصوصية عربية مشهدية تَنفتح باتجاه فكرية الرحابة القصوى، بالإضافة إلى أنَّها مكان مفتوح يبدو بلا نهاية، ويبدو غير قابل لمطلقية الإحاطة وضبط التخوم».[2]

ويرى الباحث حسن المودن أنَّ «الصحراء جزء من تُراثنا الطبيعي وإذا كانت الصحراء فقيرة في إنتاجها الزراعي والمادي، فإنَّه ينظر إليها على أنَّها غنية بتُراثها الثقافي و بإنتاجاها الرمزي.[3]وقد برر حضور الصحراء في العديد من الأعمال الروائية ويَتجلى ذلك في قوله « أنَّ الأدب السردي العربي قد عرف مع روايات الصحراء، ظهور نصوص سردية تَجعل شخوصها وحكاياها وتأملاتها تستوطن الصحراء، تَقود الصحراء ضد قوى الموت،

---

[1]–فؤاد علجي، تيمة الصحراء في الرواية الجزائرية المعاصرة(مقاربة سيميائية تحليلية لرواية تيميمون لرشيد بوجدرة)، مجلة سرديات الصحراء، ص112.

[2]–عبد القادر سلامي، العوفي نوال، الفضاء الصحراوي وجمالية تجريبية–قراءة في المنجز الروائي الجزائري المعاصر، المجلة العربية مداد، المجلد الخامس، العدد12 يناير2021،ص119

[3]–حسن المودن، الرواية والتحليل النصي. قراءات من منظور التحليل النفسي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت/منشورات مختلفة، الجزائر، ط1(1430هـ–20019م)، ص6.

وتُلاحق أسئلة المطلق والخير والشر في صراعاته البدية».[1] فاختيار الفضاء الصحراوي يَمنح الكاتب طاقة إبداعية متجددة في إلهام القارئ، فالصحراء تتجاوز البقعة المكانية بتراثها وماتحمله من رموز جمالية وقيم دلالية.

لهذا فقد توجهت الرواية الجزائرية الى عدد من النماذج المتقدمة فنياً وفكرياً إلى الصحراء، وكان طليعة هذا التوجه أنَّ الفضاء الروائي في الصحراء ترجم بعض الأفكار والروئ الخاصة في إبداعتهم الروائية، وساهم في تشكيل مساحات واسعة للخيال وذلك للعيش تحت ظل آخر، لاسيما أنَّ بعض الرحلات الغربية «المتجهة جنوباً صوب الصحراء الجزائرية، جمعت بين النخيل والتسجيل، فَجاءت بمثابة دراسة شاملة لمنطقة الطوارق الشمالية، وتتضمن الجغرافية الطبيعية وطَبقات الأرض والأحوال الجوية وموارد المياه، كما تشمل ملاحظات تتعلق بالحيوانات والنباتات وأحوال المعيشة، والطقوس الدينية وأخلاق الطوارق وعاداتهم وتقاليدهم وأصلهم، وكل ذلك بتَفصيل ودقة مُتناهية، والمعلومات التي يُقَدمها الرحالة الأنثروبولوجي عن الطوارق والتي استقاها من الكتب القديمة أو من الروايات»[2].فكتب العديد من الكتاب الأجانب عن الصحراء خلال رحلاتهم الاستكشافية لصحراء الجزائر، وقدموا دراسات وثائقية دقيقة حول الصحراء الكُبرى.

وبالرغم من أنَّ الرواية الجزائرية، شهدت تأخراً في تأليف روايات جرت أحداثها في الصحراء، إلاَّ أنَّها كانت حاضرة في بعض الأعمال الفنية التي كشفت عن الملاح الفنية المستجدة للفضاء الصحراوي، «وحاولت أن تبرز بعض مكوناته الجمالية من رمال، ونباتات، وحيوانات، ومحور هذا العالم الإنسان الذي استوطن هذا المكان منذ أقدم العصور وتفاعل معه، وترك بصمات واضحة، تَدل على معاناته الطويلة، وتكيّفه مع خصوصيات الصحراء، وتفريعا لجمالية العالم الصحراوي.[3] فقد اهتمت بعض الروايات الجزائرية من تكريس الفضاء الصحراوي في السرد الروائي كسبيل للتجديد.

ومع ذلك، فقد قام بعض كُتاب الرواية الجزائرية بإضافة الفضاء الصحراوي «بوصفه الفضاء الجديد الذي يَمنح الكاتب طاقات متجددة لتَكريس مبدأ التجريب الروائي، فهذا الفضاء الذي تناساه الروائيين لفترة من الزمن حان الوقت لاستثماره من جديد برؤية مختَتلفة عن ما عهدناه، في هذا الصدد يقول الباحث–عبد القادر بن سالم: "أمّا في الجزائر، وعلى الرغم من أنَّ ثورة التحرير ماتزال ملهمة كتاب الرواية، فإنّنا نلفي عند بعض الكتاب ذلك الهاجس المستمر الذي يَسعى إلى المغامرة حيثُ تكشف المدونة الروائية الجزائرية ذات التعبير العربي عن انخراط عدد مهم من نصوصها في موكب التجريب[4]. فقد أدى انشغال الروائيين الجزائرين بهموم الاستقلال والكفاح ضد

[1]– نفسه، ص71

[2]–حفناوي بعلي، صحراء الجزائر الكبرى في الرحلات وظلال اللوحات رحلة السينما في فضاء الصحراء، ص9

[3]–سليمان قوراري، مباحث في الرواية الجزائرية (دراسة نقدية)، دار الكتاب العربي، خرايسية–الجزائر، طبعة، 2016، ص122.

[4]– عبد القادر سلامي، العوفي نوال، الفضاء الصحراوي وجمالية تجريبية–قراءة في المنجز الروائي الجزائري المعاصر، ص122.

المستعمر الفرنسي، إضافة إلى بعض القضايا الاجتماعية التي جاءت إبان العشرية السوداء، إلى تأخر حضور الصحراء في الروية الجزائرية.

وعليه، يمكن الإشارة إلى بعض التجارب الروائية والتي منها: «روايتا "طبيب تنبكتو"، وحرز تالا لعمر الأنصاري، مريم بين النخيل ل" محمد ولد الشيخ الشاري، "راهبة الصحراء "لزايد بوفلجة، ورَشيد بوجدرة في رواية "تيميمون" الصادرة بالفرنسية، ولحبيب السايح في روايته "تلك المحبة"، وعز الدين ميهوبي في رواية "اعترافات أسكرم"، وكذا السعيد بوطاجين في رواية "أعوذ بالله".[1]، إضافة إلى الروائي حاج الصديق في رواية "كماراد"وغيرهم.

حيث يصور هذا الأخير، في روايته كاماراد «البيئة الصحراوية التواتية، لابوصفها مكاناً جغرافياً فحسب، بل تعنى بالحياة الاجتماعية والروحية للنَّاس، فتعرض لعاداتهم ومعتقداتهم الموروثة والمقدسة، إنَّ كل شي في حياة القبيلة مقدس، بدءاً من اللباس، وانتهاء بطقوس الزواج، وقد عرض حاج أحمد الصديق في(مملكة الزيوان)، لهذه العادات والمعتقدات والتقاليد، بدافع تعريف القارئ بما يجهله من حياة القبائل في صحراء توات» [2] حيث حظيت هذه الرواية باهتمام كبير، لما تحمله من عوالم صحراوية إفريقية بمصطلحاتها وأحداثها، كما تعد من أكثر الروايات توظيفاً للأمكنة ..

وتتوالى في الرواية الجزائرية الجديدة «محاولات مماثلة شتَى تتبنى الفضاء الصحراوي عند المبدع نفسه، وعند غيره من المبدعين ليطل علينا هذا الشكل السردي بحلل جديدة متفاوتة الأناقة حيكت بمهارة فائقة من مُبدعيها، فالكتابة الإبداعية، فهي بحاجة إلى تشريح الظاهرة الأدبية في عُمومها وإجراء ما يشبه العمليات التجميلية التي تغير، ولاتُرمم، فَبزغ في الأفق ما يصطلح عليه بالحداثة، وما بعدها، فالمرحلة تطلبت تغييراً عميقاً يَتجلى في استحداث رؤية جديدة تتماشى مع التطور الحاصل في العالم.[3]

و تَكمن جمالية فضاء الرواية الصحراوية الجزائرية في سعة فضائها، حيث وَجد المبدع ضالته في الصحراء، فهي تساهم في تَشكيل عمق تراثي ثقافي للإنسان الجزائري، فهي تمثل هويته المنسية والمهمشة وهي جزء لا يتجزأ من التاريخ منذ القدم.

رغم هذا، إلاَّ أنَّنا نلاحظ «ما كُتب في شأن رواية الصحراء لشيء قليل فهو غيض من فيض، ولذلك يَكتسي هذا الميدان أهمية كبرى لأنّهُ لا يمكن أن يزود الرواية العربية بما يُؤهلها للعالمية إن استطاع كُتابها اغتنام الفرصة، خُصوصاً من طرف أبنائها، أبناء الجنوب، الذين خلقوا من طينتها وتَلونت سحنتهم بلونها، وعاشروها وتَعايشوا معها فَصنعوا تاريخهم من تَاريخها ولَن يكون لهم مستقبلا إلاَّ بها ،فما عليهم إلاَّ الغوص إلى أعماق الصحراء

[1]–سليمان قاشوش ،تيمة الفضاء الصحراوي وعبقرية الإبداع السردي، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، ص472 .

[2]–سليمان قوراري، مباحث في الرواية الجزائرية، 129.

[3]–عبد القادر سلامي–نوال العوفي، الفضاء الصحراوي وجمالية تجريبه، المجلة العربية مداد، ص119.

والنَبش فيها وفي ترابها، وفي واحات نخيلها، وفي مياه فقاراتها السطحية والجوفية[1]..؛ولعل الرواية في الوقت الحالي تحاول أن تعبر عن مواقف معقدة ومعالجة قضايا اجتماعية وسياسية واقتصادية، ممّا ينعكس ذلك على الإبداع الروائي ويُقيده بقضايا العصر.

عموماً، نجد أنَّ المراجعات والدراسات للروائيين الجزائرين، هي كتابات مختلفة في مضمونها وسياقها، لكنَّها مُتحدة في المنهج والرؤية حول فضاء الصحراء، فهي تَسعى للكشف عن الجانب المهمش فيها، واستجلاء بعض غوامض وإشكالات المجتمع الصحراوي وطقوسه وعاداته وتقاليده..

فالكتابة عن الصحراء فيها نوع من التحدي، الدي تفرضه الظروف الاجتماعية والثقافية للمجتمع الصحراوي فتستدعي طقوس الكتابة في الوضع الراهن مُبدعاً مغامراً ومعارضاً في الوقت ذاته، فمشكلة الإنسان الصحراوي بصفة عامة، لم يَتخطا بعد العنصرية المقيتة، والتمسك بالتقاليد الثابتة والأعراف الخانقة، والمعتقدات الخاطئة، إضافة إلى نظرة الاستعلاء والتهميش التي ينظر إليه بها الآخر، وهذا ما خلف عقدة تاريخية في نفوسهم، فلا تزال تعاني من آثارها حتى يومنا هذا.

المبحث الرابع: البُعد الواقعي والتخيلي لفضاء الصحراء في الرواية الجزائرية:

1-ثنائية الواقع والمتخيّل في الرواية الجزائرية:

تُحاول الرواية الصحراوية أن تَبرز لنا بعض مكوناتها الجمالية، فَتوجه الروائيون الجزائريون بتوظيف الأماكن الواقعية ومزجها بمتخيل الصحراء، وكشف عوالم الصحراء الجزائرية ،إذ يحاول المبدع على تجريب كل الطرق لخلق نص جميل فيُدمج الواقع بالخيال، حيث يُعد« المتخيَّل خطاباً عن الواقع اليومي، ولكن يتّم ترهينه بشكل مغاير، حيث يحتوي النص المحكي على مجموعة من الأمكنة الخيالية، والتي تعبر عن مكان واحد، وهو الصحراء في مظاهرها، وصورها، ورؤاها المختلفة لكل أشكال المدينة، ويميز المتخيل عن الواقع باعتماده على الغرابة، والخروج بالكلام عن العادة.[2]

ويتجلى ذلك في العديد من المحاولات الروائية الجزائرية ،الذي اعتمدت على هذا المتخيل لتحقيق مُتعة وتشويق للمتلقي، وفي إطار ذلك«حاول الروائي رشيد بوجدرة عبر رحلة تخييلية في فضاء واقعي في عُمق الصحراء الجزائرية حيثُ الأمن والأمان مفقود بفعل لغة الموت المبثوثة في كل شارع من شوارع الشمال ،بأن يَرسم التناقض الصارخ بين فضاءين ينتميان لبيئة جزائرية واحدة، أنتَج من خلال منطقة تيميمون روعة الصحراء وجَمالها الأخاذ، وألق دهشة الحب فيها، والإندماج الصوفي الرهيب والجَليل في طيات أزمانها، وروعة طوبها وقصورها وشذى تُربتها،

[1]- سليمان قاشوش، تيمة الفضاء الصحراوي وعبقرية الإبداع السردي، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، ص477 .

[2]- بلال كوسة، سردية الصحراء: نحو إعادة تشكيل التجربة السردية من منظور" ابراهيم الكوني"،ص191 .

وبهاء نخيلها».[1] فتعددت العوالم المتخيلة في وصف جمال الفضاء الصحراوي الساحر في هذه الرواية، فأبانت قدرة الروائي على تمثيل هذا الفضاء برؤية مستحدثة.

كما « كانت رحلة مليئة بالمغامرات، تم السرد فيها بضمير المتكلم حيث يَطغى صوت الراوي–البطل وهو غارق في هواجسه وذكرياته من جهة، ومنهمك في أداء مهنته من جهة أخرى كدليل سياحي يَسوق شاحنته القديم قوية المحرك مهترئة المظهر، ومعه خمس عشرة سائحاً في رحلة إلى تيميمون ذهاباً وإياباً، وهو ابن الأربعين عاماً، برحلة مزدوجة في الزمان والمكان».[2] فطبيعة الصحراء المكتنزة بالخيال وعجائبيتها هي التي تدفع الروائي للتتبع متاهاتها والبحث في أسرارها والنبش في تُراثها...

[1]– سليمان قوراري، مباحث في الرواية الجزائرية(تجليات عالم الصحراء في النص الروائي الجزائري (مملكة الزيوان نموذجاً)، ص 123 .

[2]– فؤاد علجي، تيمة الصحراء في الرواية الجزائرية المعاصرة(مقاربة سيميائية تحليلية لرواية تيميمون لرشيد بو جدرة)، ص113.

الفصل الثاني
تجليات الفضاء الصحراوي
في رواية مول الضاية، لروائي
"عبد الهادي دحدوح"

- المبحث الأول: ملخص وصفي لرواية ''مول الضاية لعبد الهادي دحدوح''.
- المبحث الثاني :أنواع الفضاءات في رواية "مول الضاية لعبد الهادي دحدوح".
- المبحث الثالث: مكونات الفضاء الصحراوي في رواية مول ''الضاية'':
- المبحث الرابع: علاقة الفضاء الصحراوي في ''رواية مول الضاية'' بمكونات السرد (الشخصية، الحدث، الزمان، المكان).
- المبحث الخامس: البُعد الواقعي والتخييلي للفضاء الصحراوي في رواية ''مول الضاية''.

الفصل الثاني: تجليات الفضاء الصحراوي في رواية مول الضاية ،لروائي ''عبد الهادي دحدوح''

المبحث الأول: ملخص وصفي لرواية ''مول الضاية لعبد الهادي دحدوح''.

1-نبذة عن المؤلف(عبد الهادي دحدوح):

عبد الوهاب دحدوح كاتب وروائي جزائري، من مواليد 07نوفمبر 1979بولاية تمنغست، الواقعة جنوب الجزائر، انطلق في مسيرته الأولى شاعراً، ثُم امتدت تجربته الإبداعية إلى الكتابة المسرحية ثم الرواية، حيثُ شارك في العديد من الفعاليات المحلية والوطنية والدولية المخصصة للشعر، وانطلق في عالم الكتابة المسرحية، فأنتج جُملة من النصوص التي حظيت بالتتويج في مناسبات عدَّة ومثلها كتاباته الروائية خاصة النض الذي بين يدينا.

أهم اعماله:●

1-رئيس وعضو لجنة التحكيم في الشعر الفصيح بالمسابقة الولائية الكبرى لأنشطة الشباب والتي نظمتها مديرية الشباب والرياضة لولاية تمنراست في مارس2011.

2-عضو لجنة الانتقاء بتظاهرة (وان مان شو)-تمنراست .2011.10.27

3-رئيس ورشة الحكايات الشعبية باللغة العربية بمهرجان القراءة في احتفال 2011

-الشعر:●

-ديوان الصحراء

-المسرح●

-النص المسرحي:1 العالية-ونالت المسرحية المرتبة الأولى في المسابقة الولائية للنص المسرحي الإذاعي من تنظيم دار الثقافة بالتنسيق مع إذاعة تمنراست.

2-مسرحية :رقصة الموت، نورة الرماح والبنادق، أصفاد الملح...

-الرواية:●

1-رواية مدينة الأشكال، 2-رواية مول الضاية الفائز بجائزة ولد الشيخ لنصوص الصحراء2019.

2- نُبذة عن المُؤَلَّف''رواية مول الضاية''.

أمّا بعد تعدُّ الرواية رافداً من روافد الإبداع الأدبي، ومساحة واسعه لممارسة الفن في أرقى تجلياته وأحد أدواته المعبره عن ما تكتنزه المنطقه من عادات وتقاليد وأعراف في ظل شح هكذا أعمال ونصوص تنفض الغبار عن التراث الشفهي، تأتي هذه الرواية لتقدم لنا صوره ذات أهميه بالغة في لوحه فنية رائعة ومشاهد تدوينية متميزة تعود بالقارئ إلى تفاصيل دقيقة لجانب من جوانب الذاكرة الشعبية بالمنطقة.

حيث بلغت عدد صفحات الرواية 95 صفحة، احتوت على 6 تدوينات، في كل تدوين قصة وحكاية هذا، وقد أهدى للمكتبة الوطنية مولودا جديداً تحت عنوان مول الضايه، رواية جديرة بالقراءة تجول بك في عالم من عوالم حياة ساكنة الجنوب الجزائري بما مكنه بالفوز بالمرتبة الاولى في المسابقة الوطنية محمد ولد الشيخ للنصوص الصحراء لسنه 2019 في الرواية والمنظمة من طرف تعاونيه الثقافيه النخله لفنون العرض والتراث الشعبي لأدرار.

3: ملخص الرواية:

استهل الراوئي في مقدمة روايته بالتعريف عن بطل الرواية "مول الضاية" وهو محور الرواية، والمسمى "سيد العالم" بوصفه أنّه كان باحثاً ورحالة ومؤرخاً وحكيماً وخبيراً بالأعشاب لحضارة شعوب ذلك الزمان، قادماً من نواحي تبسة لينطلق في رحلة بحث واستكشاف للمناطق النائية التي تعبق بإرث الحضارات القديمة، فوصفه وصفا دقيقاً واستقر بوصفه أنَّه زار عوالم البيت التيدكلتي لأغراض شتى منها معالجته لمرض الحصبة وتدوينيه لمخطوطات يجمع فيها أخبار الأقوام والناس، واستطاع كسب وُدهُم وثقتهم بمعالجة أبنائهم، ثم بدأ الراوئي في سرده بالتحدث عن أهل الضاية بانغلاقهم وصعوبة الوصول اليهم بسبب السحر والغموض.

1–التدوينة الأولى :

تدور أحداث الرواية في التدوينة الأولى بين بطلين رئيسيين هما" سيد العالم" و"عمي هريس" الذي أحضر "سيد العالم "الى الضاية، بعدها وصف الضاية وصفا دقيقا حاول فيه تعريفها وتقديمها للقارىء في طبق شهيء من ولادتها من التشقق الرملي الى السواري داخل القصبة العتيقة .

ثم انتقل الراوئي الى دفة أخرى وشق آخر من فصول الرواية، بإقحامه شخصية محمد ولد السي عبد الله من ولادته الصعبة التقليدية مروراً بالطقوس المحفوفة بكل مولود جديد يولد عن أهل الضاية، مبرزاً مدى تماسكهم بعاداتهم وتقاليدهم وعبر سيطرة الكبار فيه من خلال تبادل الأدوار بين الجدة والقابلة والداوية.

2–التدوينة الثاني:

لينتقل الى التدوين الثاني بإضافة شخصية جوهرية محركة لأحداث الرواية وهي من بين أسباب قدوم سيد العالم للضاية، الا وهي الطفلة "عاية" المريضة بمرض "لومت" أو "الحصبة"، فجاءها سيد العالم بوصفاته السحرية وعالجها وجسدها استجاب للدواء بسرعة خيالية، هنا حاول الراوي توضيح شيء ضمني وهو أن لأهل الضاية أسراراً وأسراراً .

ثم يتطرق لعتبة نصية أخرى، يجسد فيها طقوس ولادة محمد في الأربعينية من عمره، طقوس متعلقة بالطفل وجمالية أمه بتقديمها بحلة جديدة تقليدية خالصة، جسد فيها الرائي طقوس أهل الضاية بعد الولادة، ليطوف الراوي بالقارىء لتقديمه محمد موضحا مراحل نموه بين الممارسة والسلوك والتقليد والمحاكاة .

3-التدوينة الثالثة:

قدم لنا الرائي عتبة نصية جديدة وهو فصل جديد في حياة الطفل محمد وهو مرحلة ختانه، التي يقوم بتفاصيلها التقليدية في حلة أهل الضاية بطل الراوية سيد العالم كونه ممارساً للختان أيضاً، منتقلا بعدها إلى حيرة سيد العالم في شخص عمي هريس الأعمى التاجر القديم، تكلم بعدها الراوي عن الممارسات المرتسمة بكل طفل يختن عند أهل الضاية من حرص وانتباه وتقديم فال وطقوس أهل الضاية المتعلقة بالطفل المختون فترة ختانه حتى علاجه .

4- التدوينة الرابعة:

حاول الراوي القفز بالقارىء الى حيثيات فصول أخرى في الرواية ، فصول مليئة بالخيال، اذ وصف سيد العالم بين النوم والاستيقاظ عند مشاهدته رؤوس رمادية باهتة، ووصف هلعه وخوفه الشديدين ووصف المشهد وصفا دقيقا، مشهد يعيش أحداثة كل شخص عاش في أحضان الصحراء خصوصاً عندما يحل الظلام وتقل الحركة ليعج النشاط في عالم أقوام أخرى(العالم الآخر)، باستقدام الراوئي شخصية أسطورية لها اظافر حادة تغرسها في بيت قاصدها فسيد العالم عاش تفاصيل الحكاية الاسطورية بين الحقيقة والخيال .

وبعدها انتقل الراوي بالتحدث عن الطفل محمد وذلك بتعليمه من قبل والده "سي عبد الله" لتحضير قعدة الشاي من ألفها حتى يائها، فإعداد الشاي عند أهل الضاية خاصة وأهل الصحراء عامة، ممارسة فارقة مقدسة في حياتهم اليومية، لينتقل بعدها الى دخول محمد لتعلم في الجامع (المسجد، وحواره المعتق مع الطالب حتى ضربه بإقحام شخصية جديدة للراوية تتمثل في "دحمين" .

5-التدوينة الخامسة:

في التدوينة الخامسة أعاد الراوي مشاهد الخيال في الراوية بذكره تفاصيل حلكة الليل المصاحبة للخوف والهلع، ليفاجىء القارى أنَّ الخيال أصبح حقيقة وذلك بكون القادم في تفاصيل الرواية هو "الكيال" أب الطفلة "عاية " المتخفي بين النخل "بكانكيه[1]" التقليدي، ليصل لقرب سيد العالم ويدور بينهما حوار تستقر تفاصيله بمزج الخيال الذي أصبح حقيقة بعدما شاهد أثآر الأظافر في الباب، ليستقر على إعتقاد أهل الضاية بأنَّ الكيال

[1]-**الكانكي**: هو أداة معدنية مخصصة للإضاءة والعمل.

والد الطفلة عاية متزوج من جنية من العالم الآخر، ثُم يبدأ الراوئي بالتحدث عن إنجازات سيد العالم بعدما أقبلت عليه الطفلة عاية بحلة أخرى ليستقبلها سيد العالم استقبال العارفين الأنقياء الاتقياء .

ومن ثم، يصف الروائي لنا جو الضاية مع التقلبات الجوية التي اعتادها أهلها من رياح عاتية وزوابع رملية، وقلة الأمطار والشمس الحارقة، كلها تقلبات اعترت منطقة الضايةكونها أرض صحراوية جافة، لكن أهلها من صغيرهم حتى كبيرهم اعتادوا عليها وتكييفوا معها.

وبعد ذلك يقحم الروائي في سرده للراوية عتبة نصية أخرى تدور أحداثها بين "محمد " وصديقة "دحمين" 'تفاصيلها تدور حول تسلق النخلة بين الخوف والشجاعة لجني الثمر الرطب، موضحا من خلال ذلك حرفة أب محمد السي عبد الله المتمثلة كونه بناء الضاية، فهو من رسم وصمم جل معالمها العتيقة .

6-التدوينة السادسة والأخيرة.

وفي التدوينة الاخيرة يقدم الراوي في سرده شخصية "سيد العالم" حائراً بعدما سمعه من أقوال أهل الضاية عنه أنَّه متزوج بجنية رغم ما قدمه من خدمات لهم، في هذا التدوين الاخير حاول الروائي القفز الى منصة أخرى مواضحاً فيها أنَّ خوف السي عبد الله من ضياع ابنه محمد كونه كثير الخروج غير المبرر مع صديقه "دحمين"، فهذا كان سبب كافي لتقديمه إلى سيد العالم لتعليمه حرفة ما يعرفه من تداوي وحكمة وكتابة وختانة، فالسي عبد الله يدرك أن حرفة اليد هي من تشغل الفراغ، وتؤمن لقمة العيش فقدمه لسيد العالم هو وصديقه دحمين ليملأ لهما فراغهما فاستقبلهما سيد العالم بسعة صدر وحكى لهما تفاصيل بطولاته القديمة ومغامرتها في عديد من الأقطار والأقطاب.

وفي الفقرة الأخيرة، حاول الروائي ووفق في ذلك أن ينقل علم سيد العالم كونه ضيف الضاية الذي اصبح صاحبه او ما يسمى مول الضاية بعدما تشبع بثقافتهم واعجب بعادتهم وعاش بينهم تفاصيل حقيقة وخيال وقائعهم على ان ينتفع محمد من علمه وحكمته لينتفع أهل الضاية من مجهد الضاية او ما يسمى بالطفل محمد ...

لينتقل السارد في آخر فصول الرواية الى أحد مشاهدها الأكثر غرابة والأقرب إلى دروب الخيال، موضحا سبب اختفاء سيد العالم الذي كان في وسط عتمة قدوم رياح عاتية وعواصف رملية ، أخذته بعيدا ليترك القارىء في أكبر حيرة واستغراب، ويفهم القارىء من خلال ذلك ضمنياً انفتاح عديد الفرضيات أولها ان سيد العالم كان شخصا صالحاً أو ولياً صالحاً له من الكرمات ما يجعله مقدساً وآخرها أنَّه تزوج بالجنية التي أقبلت عنده ليترك وراء اختفائه فراغا مشهودا عند أهل الضاية ويصبح إحدى أسرارها المحفوظة وأثارها القديمة النادرة في تاريخها المنسي.

المبحث الثاني :أنواع الفضاءات في رواية "مول الضاية لعبد الهادي دحدوح".

أولاً: الفضاء الجغرافي: وهو مقابل لمفهوم المكان، وتولد عن طريق الحكي ذاته، فدائما ما تستند الرّوايّة على مجموعة من الأماكن التي تشكل من خلالها فضاءات تستطيع من خلالها العمل على رسم الأحداث والشّخصيّات، وتكون هذه الفضاءات الجغرافيّة تتسم بالواقعية في كثير من أشكالها ووجودها، وهو الأمر الملاحظ في رواية مول الضّاية لعبد القادر دحدوح، وسأعمل على بيان تجلياتها.

1-**الصحراء**: تعد الصّحراء عالم شاسع تجري في فلكه العديد من الأحداث، ويحتوي في طياته على الكثير من الفضاءات المنبثقة منه والمتأصلة عنه، لها خصوصية النشأة والتاريخ، والبيئة والجغرافيا، والصحراء ولادة لكل معالم الخير والعطاء رغم الصّورة النّمطية التي تظهر عليها من قساوة وشدة وحدة.

حيث جعلت الرواية فضاء الصحراء المنفتح على الطبيعة، لتأطير أحداثها، وتضمنت فضاء الصحراء كمسرح لأحداثها، فالروائي لم يعرض لنا الصحراء كفضاء شاسع، وإنَّما لما تحتضنه من عادات وتقاليد وموروثات ثقافية... ف" **الصحراء أم النبوغ ووعد الدهشة وشاهد البدعة منذ الأزل وإلى الأبد... تتوالى إليها منح السّماء وتوالى هي منحها إلى أهل الأرض كوسيط نزيه بين العالم.**"[1] وقد مثلت الصحراء في رواية مول الضاية مسرحا مفتوحا واسعا جسدت الرّوح النابض بالحكايا والأقاويل، وبيتاً لكثير من الأماكن المتعلقة بها، فبدا المشهد تكامليا، بين مجموع الأماكن والفضاء الكامنة فيه.

2- الرَّحبة: يعمل بعض أهالي الصّحراء وساكنيها على تربية الماشيّة (من ابل، وماعز، وخرفان) ووضعها في زريبة ضمن حيّز مكاني معلوم يطل على فضاء سماوي مفتوح، وهو ما يجسد العلاقة الجغرافيّة بين محدوديّة مكان الرحبة والفضاء السّماء، وورد الأول في قول السّارد: (**أعادت الجدة الجدي لأمه وبمجرد أن شاهدته وهو يدخل عبر باب الرّحبة، صاحت صياح المشتاق إلى فلذة الكبد وحياة الأعماق**).[2] ويعتبر هذا المكان من الأماكن المغلقة الخاصة بتربية المواشي والحيوانات، ويكون ملاصقا لمسكن أصحابها.

3- الضايّة: تمثل الضاية مكان جغرافي خلاق وموضوع الحدث في متن الرّوايّة، فاتخذ من الصّحراء سبيلا ووجودا، فخلق في رحابه أماكن رحبة واستطاع من خلاله أن يمدها بمعالم الحياة (الماء)، ورسمت على دفتيه منازل

[1] عبد الهادي دحدوح، مول الضايّة، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع، خرايسية/الجزائر، الطبعة الأولى2020 ص 09.

[2] عبد الهادي دحدوح، مول الضاية، ص50.

طينيّة تقليديّة، وأوجدت أشجار النّخيل، وتجمعت الوفود حوله، فشكل همزة وصل بين العديد من الفضاءات الأخرى، على اختلافها، فأن ينقل ماء من منطقة لأخرى ولأي غرض كان هو ربط روحي بين أماكن وفضاءات متعددة وجاء تعريف الروائي بالضاية على النّحو الآتي: (**ولد المكان (الضاية) من طفح رملي متشقق، نقي المياه الجوفية، مشكلا بذلك (ماجن)طبيعي كبير، نمت على ضفافه، فسائل النخيل الصغيرة وسويقات الحلفة و أغصان (النّجم) و(الفصة)، وبنيت حوله البيوت الطينية مشكلة بذلك القصبة العتيقة التي أحاطت بها بساتين النّخيل الشائكة، يقبع المكان وسط عروق الكثبان الرمليّة**).[1] فكان الضّاية فضاء خصبا عمل على زرع الحياة في الأماكن المحيطة به، وبالتالي شكل همزة وصل بين الخلق والعطاء، والكثبان الرّملية المحيطة بها.

4- **البور**: يعتبر البور ضمن الأماكن التي تناول السّارد، وهي ذات مسافة معلومة، ويقصد بالبور المساحات البيضاء التي تلي الواحات، مساحات رملية خالية من نباتات تتخللها نخيل مُتناثرة متباعدة بين بعضها البعض، فجاء ذكرها في الرّوايّة على النّحو الآتي: " **بدأ اليوم التالي بشروق سريالي عانقت فيه الشمس بطحة (البور) وألقت آياتها النورانية على السطوح الطينية فانتشت أزقة الضاية بالدفء.**"[2] أعطى هذا المكان صورة لمنظر الضاية عندما تداعب خيوط الشمس الذهبية محيطها وأرجاءها، فالبور فضاء شاسع ذو أرض رملية منخفضة.

5- **الحامول**: يعتبر الحامول من الأماكن الضّيقة المخصصة لقضاء الحاجة، وهو مرتبط بأهل المنزل، ففي العادة لا يستعمل إلا لغرض واحد، وله ميزة تقليديّة مرتبطة بطبيعة الصّحراء ويستعمل لبناءه جذوع النّخيل والطين «**وهو بيت الخلاء وهو عبارة عن غرفة يتم الصعود لسطحها بأدراج من الطين وليس فيها غير جذعين من النّخل لموطئ القدمين**».[3] وهو يرمي لنمط تقليديّ جدا في بناء المراحيض ويسمى عند أهل توات ب**الكنيف**).

6-البيت: يعتبر البيت من الأماكن الضّيقة المنغلقة على ذاتها كصندوق يحتوي العديد من الخبايا والأسرار، مكان له رمزيّة اجتماعيّة رهيبة، فهو الذي يبني الأمم وينجب الأجيال ويربيها ويحمي سرها، ويبني العلاقات أو يهدمها ومن هذا المنطلق يعمل الرّوائي على توظيفه في متنه السّردي لإضفاء الكثير من الخصوصيّة (**دخلت**

[1]- عبد الهادي دحدوح، مول الضاية، ص15.

[2] -عبد الهادي دحدوح، مول الضاية، ص33

[3] -عبد الهادي دحدوح، مول الضاية، ص35.

الجدة البيت، وهي تحمل الجدي، فرآها محمد فتقدم منها متناسيا شدّ طرف عباءته، بعد أن شدّه وبر الجدي الحريري الأبيض).[1] فبيت الجدة أبان على الرّعايّة والحب والعطاء من الحيوانات امتدادا إلى البشر.

7-الواحة والرمل: الواحة والرّمل فضاءان مرتبطان بأمهما الصّحراء، فهما رمزان خالدان يمدانها بالحيويّة والنشاط، هما الهويّة العلنيّة لها، فالواحة يتجسد على فضائها قوت سكان المنطقة وثمارهم اللذيذ من تمر يسر الناظرين ويشبع الجائعين، يتظللون تحتها يستعملون السعف لأعراض عديدة ومتنوعة، تتزين أشجار النّجيل بسواقي جاريّة وأشجار نخيل ممتدة على مرأى البصر، أما الرّمل فدائم التّغير بين الحركة والسكون ، يجسد المرونة في حركته والصّلابة في كثافته التي لا تنضب، يغطي كل شبر من فضائه الأم "- ألقى ولع الحناء طلاسمه على يدي الأمير، فابتهج نخيل الواحة الحمراء، مرصع شقرة الرمال بأشكال الرّطب، وتشعبت خطوط يديه كأنها (فقاقير) تروي (قمامين) كفيه بلون الذهب."[2] وجاء فضاء الواحة والرمل في رواية مول الضاية للوقوف على كنز من كنوز الصّحراء وحكاياها العريقة وأثرها العظيم على النّاس.

ثانياً – الفضاء النّصي أو الطباعي: يعرف الفضاء النصي أو الفضاء الطباعي على أنه ذو معلومة" وهو فضاء مكاني أيضا، غير أنّه متعلق فقط بالمكان الذي تشغله الكتابة الروائيّة، أو الحكائيّة – باعتبارها أحرفا طباعيّة – على مساحة الورق ضمن الأبعاد الثلاثة للكتاب."[3]

يعتمد الفضاء النصي أو الطبّاعي على مساحة الورق الذي تتشكل منه الروايّة، ويعمل السّواد بالموازاة مع البياض ولا نقصد بالبياض في النّص الفراغ الذي يخترق النّص في داخله وإنّما البياض الذي يحيط بالنّص، ففي روايّة مول الضّاية عمل عبد القادر دحدوح على أوراق متوسطة الحجم طولها حوالي 19سم وعرضها 14 سم، وكان السّواد غالبا في المتن فاستند الروائي على الهامش للإحالة وتوضيح بعض المصطلحات العامية الغريبة على اللغة العربيّة، وبيان ماهية العديد من الأمور الأخرى التي يتوجب على القارئ الإطلاع عليها، أما الغلاف فاحتوت الواجهة الأولى عنوان الرواية"**مول الضاية**'' وجنسها " رواية" وإسم الروائي"**عبد الوهاب دحدوح**''، وإشارة للجائزة التي نالها المؤلف" **الفائز بجائزة محمد ولد الشيخ لنصوص الصحراء2019** "، وأما الصفحة الأخيرة من الغلاف فعملت للتّعريف بالرّوائي والإشارة إلى نشاطاته وإنتاجاته الفنيّة والأدبيّة، علاوة على وضع صورته الشخصية في أعلى الصفحة من الجانب الأيمن، وكذا معلومات دار النشر(دار الكتاب العربي) وشيفراتها.

[1] عبد الهادي دحدوح، مول الضاية، ص47.

[2] الهادي دحدوح، مول الضاية، ص35.

[3] حميد الحمداني، بنيّة النص السّردي، ص62.

ووجب الإشارة إلى أن الرواية رغم صغر حجمها الذي لا يتجاوز عدد صفحاتها 96 صفحاتة، إلا أنها مليئة بالفضاءات المتنوعة التي تنتمي إلى البيئة الصحراويّة فهي جزء لا يتجزأ منها ، فعملت المتن على بيان أهمية المنطقة وعراقتها.

ثالثاً. الفضاء الدّلالي: ويعمل هذا النّوع من المكان على خلق فضاءات جديدة من خلال الانزياحات التي تمدها " اللّغة الحكائيّة تحمل من المعاني الحقيقيّة والمجازيّة ما يجعل القارئ يسبح في فضاء دلالي يتكون عنده عن طريق التّأمل للمدلولين المجازي والحقيقي."[1] و" تدل على أن الأمكنة أو الأشياء الموظفة في نص من النّصوص الأدبيّة تتجاوز دائما واقعيتها بمجرد تحوّلها على جسد لغوي، أي أنّها تعمل على وضع القارئ أمام توقعات وتمثلات جديدة في مخيّلة القارئ."[2] ومن المكان الواقعي إلى مكان من نشج الذاكرة."[3] " فلا مكان خارج المخيّلة.

رسم الخطاب الروائي لعبد القادر دحدوح جملة من الفضاءات التي شكلت رؤيّة متميّزة لمحتوى الرّوايّة، فقد ارتقى المنظور الفضائي ليجسد رسومات مكتملة العناصر، فهذا ما نجده في قول السّارد " ومع انطلاق أول أشعة الشمس، انطلقت الجدة نحو بساتين (الجنة) وقد اقحمت في حزامها منجلا، عندما وصلت كان الصرصور لا يزال منهمكا في عزف سيمفونيته الخالدة."[4] أفرد الحكي عن تجلي صورة لطلوع الشّمس في فضاء صحراوي يعتبر الشّروق فيه من أجمل المناظر التي يمكن أن يراها أي إنسان، ومع توجه الجدة نحو البساتين، هي مرحلة ثانيّة أو ثالثة أو رابعة من مراحل بناء الحدث، فالعجوز قد سبقت خروجها قيامها بأشياء كثيرة مرتبطة بروتينيات المرأة الريفيّة العاملة في الحقول والبساتين فالمنجل آلة تستعمل في الحصاد إما قمحا أو شعيرا أن حشيشا، فالأول يفضي بدوره إلى فضاء أوسع، فالمسافة الفاصلة بين البيت والبستان تخلق أماكن متعددة وعند وصولها إلى هدفها تضع نفسها أمام كيان أكبر.

عملت الدلالة الإيحائية التي ينتجها السّياق الخطابي الروائي على خلق فضاءات عديدة فعندما يقول السّارد " زار (سيد العالم) اقليم (تيديكلت) وذاع صيته فيه."[5] فالمعنى الخفيّ أن العالم لم يكن ابن المنطقة فزيارته جعلته ضيفاً، ومع ذلك قد ذاع صيته، فهذا دليل على الأثر الطيب التي تركه الرّجل في حيّز فضائي لا ينتمي

[1] أحمد حميدي، بنية الزمان والمكان في رواية (فوضى الأشياء لرشيد بوجدرة)، ص38.

[2] فتيحة كحلوش، بلاغة المكان(قراءة في شعريّة المكان)، مؤسسة الانتشار العربي، ط1، بيروت، لبنان، 2008، ص24.

[3] فتيحة كحلوش، بلاغة المكان(قراءة في شعريّة المكان)، ص25.

[4] عبد الهادي دحدوح، مول الضاية، ص45.

[5] نفسه، ص12

إليه، ومع أن السارد لم يذكر المسافة التي قطعها سيد العالم، لكن الكلام يفصح عن بعدا مكاني بين الأصل ومكان الزيارة، فالحيّز الفاصل بين المنطقتين قد يكون صغيرا أو كبيرا، وفي نفس المقام يقول الرّوائي " أعد سيد العالم وصفاته السّريّة، وفتح صيدليته العشبيّة (التبسية) وأقام عند رأس الطفلة الشقيّة، أسبوعا كاملا يسقيها عسل (الكيفان) (القنتيسيّة) التي تنتجه عاملات النّحل من شجر السّدر، وغذاء ملكات النحل القوية الذي يمكنها من الطيران لطبقات في السماء لا يصل إليها أي كائن آخر."[1] فعملية الطيران التي تقوم بها النحلة، تتضمن مسافات متفاوتة من مملكتها إلى الحقول القريبة والبعيدة تتنقل بين الأزهار والمروج، بل كما قال الروائي يمكنها الطيران لطبقات في السّماء، وهذا إن دل على شيء، فإنّما يدل على تعدد الفضاءات واتساعها الكبير وللامتناهي كالسماء تماماً.

يعد الخطاب إفصاح غير علني لماهية الفضاء فالسارد عندما يقول: " أن عمي (هريس) أقدم تاجر في هذه السّوق، وقد جال هذه الأرض مع حماره قبل وجود هذا السّوق حتى،وعندما أصابه العمى... أصبح حماره دليله، فقد قاده عبر كل الطرق منذ كان جحشا، وجاء الدور عليه ليقود سيده."[2]. تتمظهر هنا العديد من الأماكن والفضاءات الدلالية التي تفهم من سياقها، فالسوق يدرج ضمن الأماكن الضيقة الخاصة بالباعة والمبتاعين، والأرض الفضاء الأكبر الذي يحتوي الجميع دون استثناء، والطريق هي سبيل ممتد له أبعاده وأمتاره وقد تعد مكانا وفضاءا في آن واحد، فالحمار الذي قاد صاحبه في كل طريق برهان مروره على الكثير من الأماكن والفضاءات الأخرى، توجت كل الدلالات أرض غير محدودة

1- أ العتبات النّصيّة بين الدلالة والفضاء:

عمل جيرار جينيت على جعل المناص إحدى العتبات المهمة للدّخول إلى بهو النّص لما يحمله من دلالات عميقة لها أبعادها ومعانيها ويعني بالعتبات هي "مجموع النّصوص الّتي تحيط بمتن الكتاب من جميع جوانبه الحواشي، الهوامش، عناوين رئيسيّة و أخرى فرعيّة، وفهارس ومقدمّات وخاتمة وغيرها، ومن بيانات النّشر المعروفة والّتي تشكّل في الوقت ذاته نظاما إشاريا ومعرفيّا لا يقلّ أهميّة من المتن الّذي يحفزّه ويحيط به، إنّه يلاقي دورا هامّا في نوعيّة القراءة وتوجيهها "[3] ومن هنا حاولنا الوقوف على أحد أهم العتبات التي حملت دلالة الفضاء في ذاتها.

---

[1] عبد الهادي دحدوح، مول الضاية، ص21

[2] نفسه، ص13

[3] عبد الرزاق بلال، مدخل إلى عتبات النص(دراسة في مقدمات النقد العربي القديم) ،إفريقيا الشرق ،د ط، 2000، بيروت، ص16.

2- عنوان الروايّة مول الضّاية:

يندرج عنوان الرواية ضمن العتبات الرّئيسيّة «فهو عامة يأتي للتّعريف بالجنس الكتابي للعمل، روايّة، قصة، تاريخ».[1] ويحمل عنوان الرّوايّة دلالات عميقة تجعل المتلقي ينجذب إليه من خلال الألفاظ المنتقاة بعنايّة في رسم صورة مختزلة لمتن سردي متعدد الأحداث والشّخصيات والمكان، ولعل روايّة عبد الهادي دحدوح من الرّوايات التي عملت على إبراز صورة لفضاء ممتد له خصوصيّة كبيرة للناس المتعلقين به، والمناخ، وطريقة العيش، فبرز ذاك المد الدّلالي ليعطي انطباعا أوليا عما هو موجود في جوهر النّص.

رسمت رواية عبد الهادي دحدوح حلتها النّهائيّة بعنوان يحمل رمزيّة رهيبة ترمي إلى المكان، فاختار مصطلحات بعيدة نوعا ما عن اللغة العربيّة، بل لها علاقة مباشرة مع اللهجة العاميّة الجزائريّة، فكان اسمها (مول الضايّة)، فيرى القارئ أو المتلقي – خاصة الجزائري المدرك للهجته – أن هناك مسنداً ومسند إليه أي أن الضاية أسندت إلى صاحبها (سيد العالم)، وهو ما أفصحت عنه لفظة (مول) والأخير تعني صاحب أو مالك أي أن الرّوائي نسب فضاء الضاية لرجل واحد، ففي اللهجة العامية الجزائرية يقال لشخص واحد يملك شيء ما (مول) وللمؤنث (مولات) وفي الجمع(موالين أو أمالين).

في حين أن لفظة ضايّة جاء معناها للدّلالة على الموضع والمكان، وهذا ما أشار إليه عبد الهادي دحدوح في المتن " الضاية تجمع مائي بين الرّمال، ويقول أهل توات " الماء داير ضاية أي أنه تجمع فوق الأرض."[2] إذن فهو مكان خلق فضاء في الصحراء، لأن الناس تتجمع حول الماء والكلأ والأمر معروف منذ العصور الأولى عند العرب، فتصنع فضاء واسعا من بيوت وأشجار نخيل وجمال وغيرها من أشكال العيش الصّحراوي، فتحوط المنطقة وتتوسع بشكل تدريجي لتكون الضاية مصدر الحياة، وارتبطت الأخيرة بالصحراء لأنّ الرّمال ترمز لها وتدّل عليها.

وقد عمل الروائي على جعل الضاية كمكان ربح، زاخر بالحياة يتسم بالخصوصيّة وربطه برجل ستكشف عنه أغوار الرّوايّة، واستطاع الفضاء وإن بدا أكثر محدوديّة إلا أنّه قد أبان عن حضور قويّ في عمل عبد الهادي دحدوح.

3- الغلاف الخارجي للرّوايّة (الواجهة الأولى):

[1] عبد الحق بلعابد، عتبات جيرار جينيت من النّص إلى المناص، تح سعيد يقطين، العربيّة للعلوم ناشرون، دط، ص 16.

[2] عبد الهادي دحدوح، مول الضايّة، ص15.

يعد الغلاف الخارجي للرّوايّة من المناصات المهمة التي تعطي في ذاتها قراءات متعددة، فهو يأتي في صورة تجسد معالم الحكي وتعطي انطباعا علنيّا بل فيها تتقاطع الألوان والصّور، وما تحتويه من رسومات لتعطي مشهدا تتعدد في ظله القراءات، وتمثل الواجهة الأولى من الروايّة الوجه الظاهر للمتن فترسم بمعالم الحكي وفق رؤى فنية مدروسة، فما يدون على الغلاف ليس اعتباطا لأنَّ "الصّور مداخلها ومخارجها، لها أنماط للوجود وأنماط للتّدليل إنّها نصّ وككلّ النّصوص تتحدّد باعتبارها تنظيما خاصّا لوحدات دلالية متجليّة من خلال أشياء أو سلوكات أو كائنات في أوضاع معيّنة "[1] وهنا يمكن أن تكون الصّورة أبلغ من أي كلام.

فثمة علاقة وطيدة بين غلاف الراوية ومحتواها، فوجه الراوية هو قراءة الأنسجة النصية لشخوص الرواية ومكانها وفضائتها، وذلك بإبراز التقارب إلى تطوير نظري بفضل إبراز جزئيات الصورة التي في الغلاف المثقلة بالرموز والدلالات والايحاء ...الصورة التي في غلاف "مول الضاية" هي خطاب اجتماعي ورمز سيميولوجي، لم توضع عفوية بل هي وظيفية لفضاء الضاية وايحائية لشخص البطل في الراوية ،فجسد "سيد العالم" أو نصف صورته من الخلف دلت دلالة قوية على ان سيد العالم اقدم زائر للضاية وأعجب بثقافتهم وعادتهم وتقاليدهم وممارستهم وسلوكاتهم من خلال نظرة بعيدة ثاقبة يرى منها كل التفاصيل نسقا وسياقا لان الصورة التي ينظر لها البطل في الغلاف توحي أنّها فضاء الضاية الدنياوي وذلك كونه يقف بعكازه في وسط البركة المائية ليري الضاية بعيون بصيرة دقيقة، فهو الضيف وهو المتمحص والمعجب والبطل والقارىء والمقروء ، فالعكاز وقفته أصدرت رجرجة في الماء واللباس كان لباسا ابيضا ناصعا شامخا يوحي أنَّ سيد العالم ذو هبة وقد تأثر ببدو أهل الضاية ولبسها وافتخر به كونه غريب عنهم يحمل ثقافة مختلفة ونظرة مخالفة ولباس مغاير لهم ...، الضاية جاءت في الغلاف مساكن طينية تتخللهاأنوار النخيل وبور .... للجسد أدبه وللباس تموضعه، وللوضعية ثقافتها وللنظرة ايمائها ورسمها والتموقع دلالته وايحاؤه، ولقد وفق الراوي في وضع التصميم المميز لروايته ليطبع لها شكلا مميزا من الوقفة حتى توزع الألوان في الغلاف تَوزيعاً مُتناسقاً.

حملت رواية عبد الهادي دحدوح في طيات غلافها الخارجي إيماءات وإيحاءات عديدة وأعطت قراءات متعددة، فتجلت الألوان بشكلها العلني، بل تداخلت الألوان كتداخل تلك الفضاءات الممتدة في صفحة واحدة تروي الكثير، فبرز جزء من أرض صحراويّة بلون ترابها الأصفر الذهبي، فخلت من سكانها وبدت قاحلة للوهلة الأولى، كسر رتابة المنظر حشائش تجلت على مرأى البصر وكأنها علائق زينة وضعت رمزا للأصالة والانتماء لفضائها الطبيعي والأنسب لها، وحجارة أشبه بالحصى الصّغيرة تحمل في طياتها معاني التحدي والاستمرار،فأعطت الصّورة لفضاء الصّحراء ماهيته الحقة ، وفي مدخل الصورة، يبرز القليل من هيئة رجل يرتدي عباءة بيضاء، في هيأة تعطي له علاقة مباشرة بسكان المنطقة بل أظهر عكازه الذي يتكئ عليه عمر الرّجل

[1] سعيد بنكراد، سينيائيات الصورة الإشهارية (الإشهار والتمثلات الثقافية)، إفريقيا الشرق، دط، دس، بيروت، ص56.

المديد الذي قضاه يتجول في ربوع الأرض مستكشفا وعالما خصبا ينثر أثره الجميل في جل كل الأرجاء، وتلك العصا النيّرة ينبثق من مقبضها ماء غزير كأنّه صنبور ماء فتح منذ أمد بعيد فبدا المشهد خرافي وله دلاله على علمه الغرير.

وتجلى المكان في أبهى حلته، فأصبح الماء يسير محدثا فضاءا ممتدا على طول الصحراء، وإن بدا عرضه صغيرا لكن طوله استطاع أن يناطح أعنان السّماء،فيظهر الماء وكأنّه يخرج من بين الحجارة، فما إن نمعن النظر حتى نراها تنبثق من أيدي الرجل، فالماء الجاري بين الرّمال صنع ضّاية وامتد بها إلى ما بعدها، كما تنم الصّورة عن منازل قليلة قرب المكان، يعلو الجميع فضاء سماويّ يرمز للسكينة والاستقرار التي تحضا بها الصّحراء.

رابعاً – الفضاء كمنظور أو كرؤيّة: وهو الآخر من أنواع الفضاءات التي تحمل نظرتها الخاصة للأخير" ويشير إلى الصورة التي تخلقها لغة الحكي، وما ينشأ عنها من بعد يرتبط بالدلالة المجازية بشكل عام."[1]

برز الفضاء كمنظور ورؤيّة جسدتها الصيغة المجازيّة التي جاء بها السّارد كقوله: " **وعندما هم شهاب بالمرور في مجرة بعيدة، راسما بنوره امتداد مسار الأصبع، فتتبع شهاب مسار الإصبع، حتى حط بنوره الكوني في حجرها، ورفعت يديها إلى جانبيه، وغرست أصابعها في جسم الشّهاب...**"[2] يبرز الامتداد بين أنامل الصّغيرة القابعة على الأرض، والشهاب الذي يسبح في المجرات والأمكان، مسافة لا تقاس بالكيلوميترات، بل بالسّنوات الضوئيّة، مما أعطى رؤية مجازيّة ارتبطت بالخيال كعنصر فعال في رسم فضاءات متداخلة ومتشابكة مع بعضها البعض، لتحمل الرؤية في صوره.

المبحث الثالث: مكونات الفضاء الصحراوي في رواية مول ''الضاية'':

تُعد رواية "مول الضاية" رواية صحراوية تقليدية، عُنيت بوصف المجنمع "التواتي" في أدق التفاصيل، حيث أعطت صورة صادقة عن حيثيات الحياة البسيطة في القرية الصحراوية، والذي تمثلت في الأمان والسلم والود بين أهل المنطقة، ناهيك عن العيش البسيط التي تجمعه القناعة والاستقرار النفسي، استغلت الرواية التُراث الشَعبي خدمة للنص الروائي وبَث روح جديدة للزمن الماضي الجميل وللطقوس والمعتقدات التواتية، حيث سجلت يوميات هذا الملاذ "الضاية" صورة مصغرة عن الصحراء.

ويشير إلى ذلك بعض الدارسين في الرواية بقولهم :«**الصحراء أم النبوغ ووعد الدهشة وشاهد البدعة منذ الأزل وإلى الأبد، تتوالى إليها منح السَّماء وتوالي هي منحها إلى أهل الأرض كوسيط نزيه بين العوالم**

[1] حميد الحمداني، بنيّة النص السّردي من منظور النقد الأدبي ، ص62.

[2] –عبد الهادي دحدوح، مول الضاية، ص71.

...لقد حملنا على عاتقنا اثناء تأسيس هذه الجائزة أن نحتفي بكل قلم جاد ينافح عن الصحراء فضاء وموعداً لما لم يتعرف عليه من عوالم ساحرة خفية؛ فخصصنا فروعها: للرواية ولأدب الصحراء ولتكريم الشخصيات الأدبية والأكاديمية التي وقفت مسارها للكتابة عن مسارب الحسن تخوم الخرافة التي تكتنزها القفار والأحقاف وبيوت الطين وخيم الشعر..[1]فانتقاء الفضاء الصحراوي من قبل الروائي يبرر القيمة الفنية والمعنوية لهذا المكان ،والذي قادت المبدع لوضع بصمته الفنية الخاصة فيه.

حيث تعددت مكونات الفضاء الصحراوي في رواية مول الضاية، تمثلت فيهما يلي:

أولاً–التُراث الشعبي(المادي واللامادي):

إنَّ كلمة تُراث، مُشتقة من الفعل **وَرَثَ يَرث إرثاً وميراثاً** ،والمعنى أنّهُ مايتم يتم نقله من عادات من جيل إلى جيل، فيترسخ ويصير ميراثا ثابتا، وهو «كل ماخلفته الأمة من إرث ديني، وثقافي، وأدبي، أيْ أنّه مجموع الظواهر المادية والّامادية بمختلف المعتقدات والعادات والتقاليد، فهو يظهر ويضمر كشفاً وحجباً داخل سياقات دالة، بالاشتراك الدالي،فالتُراث هو ثروة كبيرة من الآداب والقيم والعادات والتقاليد والمعارف الشعبية والثقافية والمادية والفنون التشكيلية والموسيقية، أي أنّه يشمل كل الفنون والمأثورات الشعبية[1] .التي تعتبر جزءاً مهماً من تاريخ وثقافة المجتمع.

وقبل بداية وقوع أحداث الرواية يُشير الروائي إلى الشخصية الرئيسية التراثية "سيد العالم" الباحث الذي يسعى في الكشف عن هذا الإرث الحضاري، فيقول الروائي «**كان سيد العالم باحثاً ورحالة ومؤرخاً لحضارة بعض شعوب ذلك الزمان، وحكيماً في أصناف التداوي، وخبيراً في الأعشاب وقدراتها العلاجية...انطلق في رحلة استكشافية لبعض المناطق النائية التي تعبق بإرث الحضارات القديمة المخفية والتي لم تنل حظها الوافر من البحث...زار سيد العالم اقليم (تيدكلت) وذاع صيته فيها**[2].فما يُميز هذه الشخصية هو ميلها الواضح لفضاء التراث بمختلف أبعاده وزواياه، ولذا نجد لهذه الشخصية حضوراً قوياً وفاعلا في النص الروائي.

انطلاقا من هذا، ينقسم التراث إلى مادي وفكري(لامادي) :

1. **التراث المادي** :يحتوي على كل الأشياء الذي صنعها الإنسان من قطع أثرية وعمران، ومعالم أثرية وزي وألبسة.

[1]–الحسين ربوش بلحسن، التراث الشعبي وأهميته التاريخية من خلال نماذج من الآمثال والعادات والطقوس والمرددات الشعبية، شركة دار الأكاديميون للنشر والتوزيع،ص11

[2]–حدادي جلول، رواية مول الضاية لعبد الهادي دحدوح(المقدمة)، ص10

أ–فضاء القصبة العتيقة : تزخر ولاية أدرار الواقعة في الجنوب الجزائري بالعديد من المعالم الأثرية التي تعود لقرون مضت، تتمثل في فضاءات القصور العتيقة، والقصبات وفضاءات واحاتية تُسرُ الناظرين والزوار والسياح، وإن كانت تبدوا للناظر ركام من طين إلاَّ انها تعكس بساطة أهل المنطقة وجمال لاتملُ العين من منظره الجذاب.

حيث اشتملت الرواية، على فضاء القصور العتيقة التي تأخذ الطابع الصحراوي وتتميز بمنازل بنيت بالطين، ويحتل هذا الفضاء مكاناً ملموساً في الرواية، حيث جسد فيه الروائي أحداث الرواية وتعددت الدلالات فيه، وكما سمي هذا القصر ب (تيدكلت) وتحديداً في منطقة تدعى "الضاية" ويتجلى ذلك في ووصف الراوي جمال شروق الشمس في الضاية قائلا: « **بدأ اليوم التالي، بشروق سريالي عانقت فيه الشمس بطحة (البور)، وألقت أياتها النورانية على السطوح الطينية أزقة الضاية بالدفء، وضجت اعشاش الحمام المعلقه على حافات حيطان القصبة العتيقة، بهديل متزاحم بين غلضة وحدة، وانطلقت منها اسرابه لتملأ حواصلها، بحبات (الزرع) المُتناثرة في (رحبات تَقمي).**[1]

ب–فضاء الضاية:

الضاية : هي أشبه بالبحيرة إلا أنها تشترط أن تكون هذه البحيرة تحيطها أعشاب وخضرة وكل ما قد يمكن أن يأكله الدواب والإنسان لكي تسمى "ضاية" و هي بتشديد الضاد عند التعريف "الضّاية" وقد تكون تجمع مائي ما بين الرمال على أن الكل يتفق على أنَّ الضاية هي تجمع الماء فوق الارض شريطة ان يكون هذا التجمع مرسوم الحدود ضيق المساحة ، وقد استدل الراوي في روايته المعنونة بمول الضاية بقوله (**ولد المكان " الضاية " من طفح رملي متشقق تقيىء المياه الجوفية مشكلا بذلك ماجن طبيعي كبير نمت على ضفافه فسائل النخيل الصغيرة وسويقات الحلفة واغصان النجم والفصة وبنيت حوله البيوت الطينية مشكلة بذلك القصبة العتيقة والتي احاطت بها بساتين النخيل الشائكة ، يقع المكان وسط عروق الكثبان الرملية متحديا وهج الشمس وعصف الرياح.**

ويصفُ لنا الروائي هذا المكان "الضاية" الذي تشكل فضاء خلفياً جرت فيه أحداث الرواية، ويشير إلى إحالة في أسفل الرواية يعرف فيها المقصود "بالضاية " أنَّه تجمع مائي بين الرمال ويقول أهل التوات: الماء داير ضاية؛ أي أنَّه تجمع فوق الأرض مشكلاً بذلك حوض مائي يُسمى الماجن تحيط به النخيل، ومنه يحمل المياه إلى النخيل والبساتين وتزرع فيه المحاصيل التي تطلب المياه بكثرة، ويأخذك هذا المكان إلى قرية تميزها هندستها المعمارية العتيقة، مشكلة من بيوت طينية وبساتين النخيل الخضراء، تزينها العروق الرملية .

ويشير الروائي لذلك بأنَّ الضاية هي من بسطت بسخاء مائها لتقوم حضارة حولها، وهي من دبت الحياة في النبات والحيوان والانسان فعلى ضفافها انتعشت احداث القصة وارتسمت شخوصها .

[1]–عبد الهادي دحدوح، مول الضاية، 15

فالضاية كفضاء صحراوي تستمد مائها من جوف الارض فنادرا ما تسقط الامطار وتمدها بسخائها ، وهو ما أشار إليه الروائي بقوله: (**كانت مياه الامطار النادرة هدية من الله عز وجل ينعم بها على أهل الضاية المحفوظة بذكره ....) وقوله كذلك (كان المطر يرفع مستوى الماجن الكبير فتفيض منه الأبار وتزدهر الحياة في البساتين ويعم الخير في أرجاء المكان.**[1]

ج–اللباس التقليدي :

ذكر اللباس الشعبي التقليدي في الرواية في أكثر من موضع، فمثلا في مطلع الرواية يقول الرواي وهو يصف لباس شخصية سيد العالم «**كان طربوشه فاقع الحمرة الذي تتدلى من قمته خيوط حريرية سوداء،وجبتهُ التونسية ذات النقوش الفاتنة، في فتحتي اليدين وعلى امتداد شق الرقبة الطويل، توحيان بنسبه النبيل ورُقي منزلته.**[2] فسيد العالم يرتدي لباس تقليدي يعود لأصول تونسية، وهذا يدُّل على تمسك سيد العالم بإرثه وعاداته.

وفي موضع آخر تتجلى الطفلة عاية بلباسها الشعبي التقليدي مع والدها، عبر وصف دقيق لهما يقول الروائي : «**كانت عاية طفلة تلبس عباءتين، الأولى بيضاء وفوقها عباءة أصغر منها سوداء تُسميان (الطاري) و(المحمودي) تلبسهما بنات الضاية، دلالة على الصغر او العزوبة ....وكان أبوها الكيال رجلاً أسمر اللون، سامق الطول، يضع على رأسه عمامة بلون السماء، ويلبس عباءة فضفاضة بيضاء، كان يعقدها في المُنتصف ليظهر سروال (التكة) البارز للأسفل وكان يَلبس في قدميه النعلا الجلدي ذو العين الواحدة والمسمى (نعايل الشرك)** ؛[3]فالطاري قُماش أزرق قاتم إلى حد السواد يطلق مادة زرقاء تُفيد البشرة وتنعمها وتجعلها أكثر اشراقا ويُسمى عند قبيلة الطوارق ب (النيلة) هو لباس تقليدي أشتهرت به المرأة الصحراوية في منطقة أولف (تيدكلت) والمحمودي هو نوع من الكتان يأتي على عدة ألوان، حيث ترتديه البنات للدلالة على العزوبة، أمَّا لباس الكيال يرمز إلى الزي التقليدي الصحراوي العريق، وهي العباية البيضاء الفضفاضة(الدراعة) مع سروال عريض مُنتفخ في الوسط وفيه بروز نازل إلى الأسفل وضييق عند القدم، ونعايل (الشرك) وهو حذاء مصنوع من الجلد عرفت به منطقة أولف(تيدكلت).

ومن أبرز التوظيفات للباس التقليدي في النص الروائي نجد قول الروائي « **ولكن طقوس (لمشاط) كانت الأجمل بالنسبه له، حيث بدأت ذات الوجه الضخم بشق شعر امه ولفي خُصلاته الى جدائل،**

[1]–عبد الهادي دحدوح، مول الضاية، ص74.

[2]– عبد الهادي دحدوح، مول الضاية، ص12.

[3]–عبد الهادي دحدوح، مول الضاية، ص20.

وعلقت بها تمائم الفضه العتيقه، وخواتم العقيقه المصبوغه بلون الشفق، وأضافت (البياضات) تناسقت كل تلك المكونات لتشكل ما يسمى (بالدمجه) تاج المراه الصحراويه وعنفوانها السرمدي...[1]

حاول السارد هنا إبراز جانب تقليدي في الفضاء الصحراوي، بطريقة تقليدية وُفق فيها إلى حد كبير حيث بدأت العملية التقليدية بشق الشعر ولف الخصائل وتحويلها إلى ظفائر، وتعليق تمائم الفضة والدي يقصد بها (عقد يحتوي على قطع من الفضة تتعلق في الرقبة) وخواتم العقيق المصبوغة مع وضع صدفتين كبيرتين فوق الأذنين حيث تُعلقان فوق الدمجة، ولمقصود بالدمجة سرحة شعر راقية ترافقها قطع عديدة من الحلي والمجوهرات، وهي عادة في زمن المرأة الصحراوية منذ عهد ولى..ُ

وفي موضع آخر يتحدث الروائي عن تلك الطقوس التي قامت بيها المشاطَ للمرأة التي وضعت مولودا حديثاً (النافسة)، هي طقوس عند نساء توات فيقول :« **لم يعرف أمه..وكأن ذات الوجه الضخم، القت عليها سحرا توجها ملكة للواحة الحمراء، تضع تاج (الدمجة) وتلبس (الجوالي) وهو ثوب متلألئ، تتضارب،امواجه البيضاء كلما تحركت من تلبسه.. يطوقه حزام شديد الخضرة في المنصف، كانه النخيل، وقد مشى على امتداد سباخ يلونها الملح.**[2] كما ذكر قطعة من اللباس الصحراوي الذي ترافق الملحفة وهو (لحرام) أو المحرمة، حيث يقول :« **تضع (لحرام) وهو قطعه قماش سوداء يغطي بها الرأس، وتضع في قدميها حذاءان حريريان متقنا الصنع بنقوش مستوحاة من عيون الواحه، صنعهما ''ولد الدباغ'' حرفي الواحه ومبدعها وكان القمر تلك الليله قرر ان يهجر الشمس ويعكس بياض الجوالي استدراراً لعطف الملكة التي لا يسمح لها ان تبدي زينتها الا لمحارمها وفيه هتك ذلك، تطير الرقاب.**[3]؛ والمحرمة قطعة من القماش توضع على الشعر لتغطيته أو تزيين، بحيثُ أنَّ المجتمع الصحراوي يُعتبر إنزال المحرمة أمام غير الزوج فعلاً غير مرغوب به، فهو تمرد على الأعراف والتقاليد.

وهكذا تزينت المرأة التواتية بزييها التقليدي المتميز بعد أن قامت بتسريح شعرها وترصيعه بمجوهرات واكسسوارات من أساور مختلفة التصاميم وارتداء الجوالي، حيث يعتبر الجوالي من الأزياء النسائية التي تنفرد بها منطقة تيدكلت، وهو من المقومات الثقافية التُّراثية المميزة لولاية أدرار، ولايتلخص في ثوب تقليدي فقط، فهو رمز للجمال وأيقونة الشياكة والتفاخر.

وما يلاحظ عموماً أن المرأة بتوات ملتزمة ومحتشمة في لباسها الذي يفرضه الدين وتقره التنشئة الاجتماعية.

---

[1]–عبد الهادي، دحدوح، مول الضاية، ص26

[2]– عبد الهادي، دحدوح، مول الضاية، ص26

[3]–عبد الهادي، دحدوح، مول الضاية، ص27

د-أدوات الزينة عند المرأة الصحراوية:

إنَّ ثقافة المرأة الصحراوية ثَرية وغنية جدّاً ومتنوعة، فلم تترك المرأة الصحراوية مظهراً من مظاهر الحياة إلاَّ وتركت فيه بصمتها، وللمرأة التواتية بالخصوص حضور قوي في المجتمع التواتي، فلا ركن أو شاهد أو فضاء يخلو من بصمتها ولمستها المثيرة .

فالمرأة التواتية هي المانحة للحياة عطفاً وحباً، والراعية للجمال والباحثة عنه، حيث تحرص على العناية بنفسها عناية خاصة، فالعناية بذاتها الأنثوية يُعتبر طقس أطلقت عليه تسمية الحفول.

- **الحفول الصحراوي** : أما عطور المرأة بتوات فهي متنوعة أيضاً منها البخور الذي تصنعه بنفسها والمتكون من عود القماري والمسك يضاف إليه الروائح العطرية والذي تحرقه لتتعطر به في المناسبات والأعياد الدينية

إضافة إلى قطعة المسواك الحار التي تضعها في فمها وتتم حك أسنانها بها، لتعطي جاذبية وبياض للأسنان وصنع الكحل بطريقتها الخاصة، ووضعه في العينين يؤمن بعدا جمالياً وبُعدا نفعيا، فهو يقوي عضلات العين ..

ومن خلال ماسبق ذكره، نجد العطر التواتي جلياً في قول الروائي «**أمَّ مجلسها فكان مُعبقاً ومُشبعاً برائحة** (**آخواض**) **المصنوع من الدهن الأبيض و**(**بنت السودان**) **و**(**ديقوما**) **و**(**بوماريا**) **و**(**الرحة الحمرا**) **و**(**المستكة**) **و**(**النّوار**) **والعنبر و**(**وسبع ازهار**) **و**(**ملكة سبأ** [1])؛ فالتعطر نكهة خاصة عند نساء الضاية، فموادها تختلف بين سائل وصلب ومحكوك وخام.

فآخواض مجموعه من العطور والمستحضرات تخلط وتدهن بها البشره وذلك قصد التعطر بها، أمّا **بنت السودان** هوعطر يجلب من السودان كغيره من هذه مكونات وهو عطر زيتي لونه اخضر تعتقد النساء أنَّه يجلب لهن القبول، و**ديقوما** عطر زيتي أيضاً، **والريحة الحمرا**:عطر لونه أحمر يأتي من تمبكتو تعطر بيه النساء الحناء، أمَّا **المستكة** هي نوع من أنواع المطيبات، تستخرج من جذوع الأشجار تعتبر من الأعشاب الغدائية الصحية التي تحمل مجموعة من الفوائد التي تفيد الجسم ..

إضافة إلى عود النّوار (**القرنفل**) الذي يُعتبر من التوابل العطرية القوية ، **وملكة سبأ** وهو عطر جذاب ومميز، هكذا تزين مجلس أم محمد

[1]-عبد الهادي دحدوح، مول الضاية، ص27

ونجد أيضاً المعطرات الصحراوية التقليدية في قول الروائي «**أمَّا جدته فكانت تغسل (سرغينا) وعود (لقماري) وتجففهما ثم تغرقهما في ماء الريحان والحنه ليله كاملة، وتضيف لهما (جوزة الطيب)وعندما تتجانس تلك المكونات يولد البخور (التيدكلتي) والذي تطلق جدته عجائبه وأسراره على المكان فيقيه من الجن والعين ويحفظ سكانه وزواره.**[1] استخدمت الجدة خلطات سحرية تُعدُّ من أروع خلطات العطر في المجتمع التواتي، هي مكونات عجيبة غالبيتها أعشاب أهمها (السرغينة) وهي عشبة لها فوائد عديدة لجسم الإنسان، حيث قامت الجدة بمزجها مع عود القماري.

هذه المكونات تخلط وتكسر في مهراز صغير خاص وتُغربل وتعجن بماء الحنة بعدها تضيف لهم نواة التمر المستخرجة من شجرة جوزة الطيب، ويوضع السائل على نار هادئة ليجفف وبعدها تشكل منها كريكبات دائرية تشكل لنا واحد من أروع الروائح على الإطلاق عبقاً وعطراً وهو مايسمى **بالبخور**، حيث يُستخدم البخور لأسباب جمالية وعلاجية فله عجائب وأسرار عّدة .

أمّا لكحل، مسحوق تجميلي، «وهو عبارة عن حجر يسمى الاثمد يأتي به أهل توات مع بعثات الحج قديماً من مكان يُسمى أصفهان، فالأثمد من أشباه المعادن، هش وسريع التفتت ولامع عن ابن عباس قال :قال رسول الله (اكتحلوا بالاثمد فإنّه يجلو البصر ويُنبت الشعر) صدق رسول الله.[2]

ولكحل في توات يتم استعمالها لتنظيف العين من الأوساخ، ووقايتها من الإصابة بالعمى خصوصاً وأنَّ المنطقة تشهد زوابع رملية تُؤثر على العين. وتجلى ذلك في قول الراوي(**وقد تُرجم الكحل بعينية الذي أعد من رمادى نوى التمر، الممزوج بمسحوق الإثمد، يُغليان بماء الورد على ذكر أيات الرب، في يوم لاغيم فيه ولاريح.**[3]

2-التراث اللامادي :ويشمل التراث اللامادي: اللغة والأدب الشعبي، المتمثلة في القصص الشعبية ،والنثر والشعر ،والأمثال الشعبية، والألغاز، والنوادر، والأهازيج أثناء السفر أو الحصاد أو الرعي، والأغاني، والأسطورة، والخرافة .[4]

+العادات والتقاليد الشعبية: تشمل الأفراح والطقوس.

+المعتقدات الشعبية: مقابر الأولياء، الكائنات الخارقة، السحر، الأحلام،الطب الشعبي

حول الحيوانات والنباتات، الألوان، الطهارة، الأعداد.

---

[1]-عبد الهادي دحدوح، مول الضاية، ص28

[2]-عبد القادر بن جعفري، أمي توات من عبق تراثها (فصل العادات والطقوس التقليدية)، دار الدواية للطباعة والنشر والتوزيع،ادرار،ط1،2022، ص372

[3]-عبد الهادي دحدوح، مول الضاية ، ص35

[4]-الحسين ريوش بلحسن، التراث الشعبي وأهميته التاريخية من خلال نماذج من الأمثال والعادات والطقوس والمرددات الشعبية، ص11

أ-العادات والتقاليد الشعبية:

يتميز المجتمع الصحراوي التواتي بمجموعة من العادات والتقاليد، يتمسكون بها ويتوارثونها جيلاً عن جيل، كونها منبثقة من تعاليم الدين الإسلامي من جهة، ومن جهة أخرى تحمل رمزيتهم وتمثل هويتهم أمام الشعوب الأخرى، فتزخر توات بتراث عريق وعظيم، تتمثل بداية من :

1-الميلاد: تعتري حياة الفرد في المجتمع التواتي العديد من الأحداث المختلفة، انطلاقا من مولده ومروراً بطفولته وتليها فترة المراهقة والشباب ثم الكهولة وأخيراً نهاية الحياة بالموت، فهذه المراحل العمرية المتتابعة تتخللها سلسلة من الممارسات والسلوكات تتشمثل في طقوس تقام للفرد، وقد جسد ذلك الروائي في تحدثه عن ولادة الطفل (محمد) أثناء خروجه من رحم والدته : (**زيدي دفعي ..زيدي زيدي فكلمت الام ..لجدة متجأهلة امر القابلة ، و أثار بداية الوضع ومشقته بادية عل وجهها : لحقني يامي راني باغي نموت.**

فردت الجدة : راني حداك الا وحمي زين ، فصرخت وهي تدفع بالمولود للخارج والعرق يعتصر دفئ الحياة في وجهها : ما بقيت قادة

فقالت القابلة مهدئة : خلاص خلاص بسم الله بسم الله يا حليلي ...ولد)[1]

فأغلب عمليات الولادة في المجتمع التواتي في القديم كانت تتم في البيوت، فبعد أن تقطع سرة الصبي (الوليد) تقوم القابلة بغسل الصبي ويكون غسله كغسيل البالغ وهذا حتى يتطهر وتنشفه بقماش ويجب ان تكون المرأة التي تقوم بقطع السرة طاهرة وهذا لان في اعتقاد سكان المنطقة عدم طهارتها تصيب الطفل بمرض "النار الفارسية" .

وقد أشار الروائي في الرواية الى ذالك قائلا:" **فقالت الجدة بفرح عارم : صلاة النبي صلاة النبي ، غسلو الولد زين لتمشي تقبضو النار الفارسية** "[2]

- **2-عادة الختان :**

يحرص أهل توات على عادة الختان، كونه يحمل رمزية مقدسة دينية في الإسلام ويفضلون بلوغ الصبي سن السادسة أو السابعة من عمره ...فيتطهر الصبي ويرتدي عباءة بيضاء واسعة ثم يحلق له رأسه ويوضع له الكحال في عينيه والحناء في يديه وقدميه ...ثم يستدعى الطبيب والذي يسمى الزيان حيث تقام على مشارفه احتفالية عائلية تكريماً لقيامة بالسنة المؤكدة.

---

[1]-عبد الهادي دحدوح، مول الضاية، ص16

[2]- عبد الهادي، دحدوح، مول الضاية، ص17

[2]-**النار الفارسية**: هي حالة مرضية تتسبب بظهور طفح جلدي في الجسم على شكل حبيبات مائية صغيرة.

فالروائي متضلع بالطقوس المترتبة على الزيان نفسه والطفل الذي يراد ختانه فقال في روايته أثناء تزيين الطفل محمد (**تقدم منها حفيدها...وهو يرتدي عباءة بيضاء..وقد تُرجم الكحل بعينية الذي أعد من رمادى نوى التمر، الممزوج بمسحوق الإثمد، يُغليان بماء الورد على ذكر أيات الرب، في يوم لاغيم فيه ولاريح.**[1]

فقد تزيين الصبي قبل أن يُزين، مع العلم أنَّه لم يَكن على دراية بما كان يُخفيه الكُل عنه.

وأثناء طهارته يقول السارد،..(**وجلس على المهراز المعد سلفا فوق حوض رملي وقد رفع له الزيان جزءا من عبائة البيضاء وكأنه ملك صغير يجلس على عرش صغير والزغاريد تحيطه بهالة من الغبطة والسرور**"[2]

حتى قوله :" **قطع الزيان ما أمر به ان يقطع فاحس الصبي بالم شديد وسائل دافئ يجتاح فخذيه ، نظر للأسفل فشاهد دما يخرج منه ففجع و ضخمت رواية الدم في عقله الم شديد** "

فالختانة قديما كانت لها أ بجدياتها وأ ساليبها ، فالطفل يجلس على مهراز ليساعد على سيلان الدم دون توسخ.

"وبعد انتهاء العملية يدم للطفل وجبة تساعده على استعادة قوته، وهي مكونة من سبعة بيضاتي، وقطعة كبيرة من اللحم تسمى "القصير" وأكلة المردود، وبعد ذلك تزغرد النساء وتمدح أحد النساء الطفل وعائلته، وتغني النساء بعض الأهازيج ومن ذلك قولهم:[3]

المُختار يالمُختار الحمد لله على دين الإسلامْ»

المبحث الرابع: علاقة الفضاء الصحراوي في ''رواية مول الضاية'' بمكونات السرد (الشخصية، الحدث، الزمان، المكان).

أولاً:– علاقة الفضاء الصحراوي بالشخصيات والأحداث:

تُعتبر الشخصية المكون الأساسي في العمل الروائي، حيث «حظيت بأهمية واسعة، في الدراسات النقدية نظراً لدورها المهم وعلاقتها النوعية بالكاتب بوصفه شخصاً من الواقع يقوم بتحريك وخلق شخصيات وُجسدها

[1]–عبد الهادي دحدوح، مول الضاية، ص35 .

[2]–عبد الهادي دحدوح، مول الضاية، ص 39 .

[3]– عز الدين جعفري، أطلس العادات والتقاليد بمنطقة توات، أطروحة مقدة لنيل شهادة الدكتوراه، تخصص: تاريخ، تحت إشراف الأستاذ الدكتور شعيب مقنونيف، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم التاريخ، السنة الجامعية2017–2018، جامعة تلمسان، ص67

حسب مخيلته، سواء كانت شخصيات تعبر عن الواقع، أو عن خيال الكاتب ،لدى عدت الشخصية طرَفاً مُشاركاً في بناء السرد.[1]

أمّا الحدث فهو المحور الأساسي الذي تقوم عليه بنية الرواية، حيث ترتبط حوادث الرواية وشخصياتها ارتباطاً منطقياً، فيجعل من الموضوعات وحدة فنية ذات صلة محددة ومسار يهدف إليه الكاتب.

1-شخصية سيد العالم:

تُعتبر شخصية "سيد العالم" شخصية فعالة في الرواية، فهذا الرجل الشخصية له قيمة كبيرة في مسرح الرواية، لأنّه كما يقول الرواي «**كان سيد العالم باحثاً ورحالة ومؤرخاً لحضارة بعض الشعوب ذلك الزمان.**[2]فهو يحمل تاريخاً عظيما كما لهذه البلدة الذي زارها " الضاية" تاريخاً عظيماً.

يحاول الروائي التحدث عن شخصية سيد العالم وكيفية قدومه إلى فضاء الضاية بقوله (**مع وصول سيد العالم إلى الضاية هلَّ عليها ضيف جديد وذلك بين حنايا القصبة.**[3] وصول سيد العالم اخترق به الراوي القصبة العتيقة والتجمع النائي بين الرمال من وصفه كفضاء خارجي الى السواري كفضاء داخلي، ويتجلى ذلك في قول الراوي (**لقد سمع عن الضاية وعن إنغلاق مجتمعها وكذا صعوبه الوصول اليها ومتاهات الرمال التي تحيطها بهاله من الغموض والسحر الغافرين في غياهب الماضي. وما زاد في اثاره فضوله هو تلك الأساطير والمعتقدات التي نسجها الناس حولها، فزاد إصراره على الوصول اليها، فهي مكان عذري عصي، لم وأغواره.**[4] يمكن أي بحث من اكتساح خلوته، واكتشاف مكامنه.

فقدومه للصحراء كان هدفه علاج طفلة بها مرض لومت بعدما اتضح أنه طبيب مشهور بالتداوي بالاعشاب التقليدية، فوصف الراوي علاجه لها بأدق التفاصيل والجزئيات من بداية العلاج حتى سرعة تماثل الطفلة عاية بالشفاء .

فيقول الراوي« **استجاب الجسد الطفله لعلاج بسرعة خيالية واستيقظت بفضل الله من غيبوبه المرض، وقد عاد بريق الضاية يسكن في عينيها.**[5] وهذا ما جعل سيد العالم يتعجب من متانه الجسد والمناعه الذي امتاز بها أطفال الضاية كون الطفلة عاية كانت تعاني من مرض مستعصي وخطير، إلاَّ أنَّها قاومت مما اذهل سيد العالم من

---

[1]-بن علي خلف الله، مجلة علمية محكمة نصف سنوية، العدد02/جوان/2017، مخبر الدراسات النقدية والأدبية لمعاصرة، المركز الجامعي –تيسمسيلت/ الجزائر، ص56

[2]-عبد الهادي دحدوح، مول الضاية، ص12.

[3]-عبد الهادي دحدوح، مول الضاية، ص13

[4]-عبد الهادي دحدوح، مول الضاية، ص13

[5]-عبد الهادي دحدوح، مول الضاية، ص21 .

أعجوبه نجاتها، فكيف لجسد هزيل كجسدها يقاوم مرضا كمرض الحصبة والذي يعد الشفاء منه أعجوبة لمن هم أكثر منها سنا وقوه وظلت أسئلة كثيره تطرح نفسها في ذهنه فلا يجد لها جوابا مقنعا وهو ذو سعه في العلم والتجربة.

ليصل به الراوئي بحضور شخصية سيد العالم كونه زيان بعدما شفت الطفلة على يده بسرعة فاصبح مختن بعدما كسب ثقة أهل الضاية فختن الطفل محمد ليفتك الراوي سبب شغفه بأهل الضاية بعدما لاحظ فضائهم العام والخاص وشاهد أنهم يتفردون بصفات لم تكن في غيرهم بقول الراوئي:«**وتفرد أهلها بصفات لم تكن في غيرهم كانَّهم من عالم مختلف، وهو الغريب الوحيد الذي سُمح له بالمكوث بينهم.**[1].

ثم يتطرق الراوئي بعلاقة سيد العالم بالتاجر الأعمى هريس، بذكره متاهات الرمال والدبش والغرارة للحمار وشاي واحد واسبعين وسكر القالب كتراث مادي مع هريس والزيانة، وطقوس لختانة كمورثات لامادية عند ختان الطفل محمد، ليصل الراوي بسيد العالم ويصفه بشخص تمييع في أهل الضاية وأصبح شخصاً منهم، بعدما ارتسم بخوفه من غول النخلة والمرأة التي ارتسمت اظافرها في الباب الخارجي لفضاء منزله وولي الضاية المخفي ليظهر نبرة الكيال في قوله (ولكن نبرة سيد الكيال قطعت سلسلة التكهنات ...)

ثُم يصل الراوي بشخصية سيد العالم إلى دقدقة الباب من طرف طفلة ويصف المشهد بامتياز ليتنقل إلى مشهده مع السي عبد الله.

حيث تفنن الروائي بعلاقة سيد العالم بالطفل محمد الذي ختنه بيده، وأصبح يعلمه ويحكي له تفاصيل بطولاته القديمة وذلك في قول السارد

ليربطها ب**الفضاء** المقيم فيه ليصل الراوي بوصف سيد العالم بطل الراوية واحد أبرز شخوصها بوصفه مول الضاية وهو عنوان الراوية بعدما تميع في الفضاء الصحراوي التيدكلتي وكسب ثقة الجميع وعاش تفاصيل حياتهم بين الخيال والحقيقة ليصل في الأخير إلى اختفاء سيد العالم وسط زوبعة رملية اخذته بعيد عن الضاية ليصبح أثار قديمة وقصة غريبة تتحاكى للأجيال في الضاية، كونه أحد أسرار الضاية المتخفية والغريبة عن عوالم الانسان والقريبة لعوالم الجن، فقدومه كان حقيقياً ورحيله كان درباً من دروب الخيال عن الفضاء الصحراوي عامة وأهل الضاية خاصة.

نستنتج أنَّ علاقة سيد العالم بالفضاء هي علاقة تأثير وتأثر، حيث كان له صدى كبير وتأثير بين أهالي الضاية، وفي نفس الوقت تأثر بهذا الفضاء، لدرجة أطلق عليه ب **مول الضاية**.

2-شخصية عمي هريس (الرجل الأعمى).

[1]-عبد الهادي دحدوح، ص42 .

وضح الراوي حقيقة حضور سيد العالم و أن شخصية هريس هو من أحضره الى الضاية، وكان ذالك بناء على طلب الكيال مبرراً أنَّ حكيم الضاية فشل في علاج ابنته عاية من مرض الحصبة، ووضح الراوي أن شخص هريس رغم أنه أعمى يتاجر في **فضاء السوق** بذكاء ويتمتع بحنكة في إختيار المقتنيات التي يريدها أهل تيدكلت في السوق، ليعيد ذكره مثيرا حيرة سيد العالم ليذكر تلك المقتنيات القيمة التي يحملها حمار هريس ليربطها **بالفضاء العام**، انطلاقا من غور الرمال ومتاهاتها وصولا الى بيوت تيدكلت بقوله :**التاجر الاعمى عمي هريس الذي كان يدع لحماره، سبر غور الرمال وتحدي متاهاتها.وعلى ظهره (الدبش) و(غرارتين) ملئتا بأجواد أنواع الشاي (شاي نوع "71")،بالإضافة إلى(سكر القالب)، والدهائن والعديد من أنواع العطور.**[1]

ففصل في المقتنيات التقليدية كموروث مادي وربطها بالفضاء الصحراوي التيدكلتي، حتى ربط اخر محطة لشخصية هريس بالكيال أب عاية، في هدية رمزية قدمه لها وهي الكانكي موضحاً قيمته القيمية عند أهل تيدكلت والكيال نفسه.

وتجلى ذلك في قول الراوي: **بعد أن توقف عند كل البيوت، التي واظب على التوقف عندها، لأنها كانت لأصحاب الطلبات الدائمة، رحل محمد بالخيرات و حجافل (وكالين) الحلوى تتبعه، وهو الاسم الذي أطلقه على أولاد الضايه. رحل غارقا في المغيب كان شكله اذا ركب على حماره والأحمال تلفه، ومزج الظلام بينهم كائن خرافي من عالم آخر... لطالما نسج (الخماسون) حكايات على رؤيته في البساتين، عند الغسق أو في ليل الضاية البهيم.** [2]وهنا انتهت رحلة شخصية هريس في الراوي.

قفد كان لعمي هريس تأثير كبير في هذا الفضاء الشاسع الواسع، كونه الرجل الأصيل والتقليدي الذي فتح لسيد العالم، عوالم هذا الفضاء الغامض والساحر.

3- شخصية الطفلة عاية:

يحاول الراوي التحدث عن الطفلة عاية مؤكدا سبب قدوم سيد العالم للضاية كان بسببها وبسبب مرضها واستعصاء شفائها على يد حكيم الضاية الأول"سيد العالم "، **فربط فضاء الضاية** بقدوم سيد العالم لها بمرض الطفلة عاية، وتجلى ذلك في قول السارد: **وعندما فرغ عمي هريس، أخبر سيد العالم أنه مطلوب في الضاية لعلاج طفلة ألم بها المرض، على ان يكون الأمر سرا بينهما... فوافق سيد العالم على الفور كانت سعادته لا توصف، فقد وضعت الأقدار بين يديه فرصة نادرة... لأنها ستفتح له بوابة ذلك الفردوس المنسي..**

[1]- عبد الهادي دحدوح، مول الضاية، ص42

[2]- عبد الهادي دحدوح، مول الضاية، ص44.

فبدأت الرحلة وبدأ معها تدوين سيد العالم لمخطوطها، الذي سيصوغه بإحساسه وشعوره مع إيقاع المكان.[1]

ثم وصل إلى وصفها ووصف لباسها وضعفها نتاج مرضها، وربط علاجها بوصفة سيد العالم موضحا سرعة استجابتها للوصفة، ليرجع بشخصها بذكرها لطقوس ولادتها، لينتقل إلى حضورها إلى بيت سيد العالم بالليل بشكل مختلف واصفا الفضاء **قرب بيته بعوالم اخرى ووصف** مغاير للطفلة عاية من قدومها له بالليل بشكل مختلف الى ذهابها في فجر اليوم الموال، لتختفي بشكل نهائي من الرواية موضحا أنها سبب قدوم مول الضاية وأنَّها هي سبب ذهوله وأنها هي العالم الآخر المختلف عن عالمه كونها سر مخفي موضحا ذالك بنسق مغاير ليربطه بالفضاء الصحراوي بين بيت الكيال وبيت سيد العالم في مواضع مغايرة مختلفة متباينة بين الحقيقة والخيال.

4-شخصية محمد.

قدم الروائي شخصية الطفل محمد بطرح مخالف لباقي الشخوص، وقدمه بتقديم مغاير كونه الشخصية الوحيدة في الراوية التي يصف فيها الجو العام والفضاء الخاص، منذ ولادته حتى تعليمه أصول حرفة سيد العالم مول الضاية، الراوي قدم محمد كجنين يقارب رحم أمه الدافي لتزاحم روحه فضاء آخر ومكان اخر غير مألوف له مقارنة ببطن أمه، فوصف عملية الولادة التقليدية وقدمها بحرفانة متناهية على أن الولادة مد وجزر وصراخ وعويل بقوله «**بعد مد وجزر وصراخ وعويل، فارق الجنين رحمه الدافيء ورُمي مكرها في هذا العالم البارد، صُمت أذناه من زحمة الأصوات المتداخلة والتي لم يكن قد تعوَد عليها بعد.**[2]

قدم الراوي الصبي محمد كمولود يرى نور العالم البارد، بعدما كان في عالمه الدافيء، ووصف الفضاء العائلي من قطع سرة المولود بالطريقة التقليدية حتى غسله وتنظيفه ومسكه من طرف أفراد عائلته حتى الأذان في اذنه من قبل أبيه، انتقل الروائي إلى وصف الجو العام للعائلة والخاص للأب والأم، على وجه الخصوص وعلاقتها بمولودها الجديد، لينتقل الى الفضاء التقليدي الممارس في البيئة الصحراوية عند أهل الضاية وهي طقوس حفظه من عيون الناس بوضع ممارسات مخصصة لذلك، ليصل الى إسم الصبي باستقرار والديه على الاسم محمد تيامنا بجده محمد، وأبيه السي عبد الله...يتبع.

يصل الراوي بوصف الصبي محمد بعد الأربعينية (40يوم) بعد الولادة ويجعله يتحسس للأقرب منه، لاكتشاف الفضاء الذي حوله بين الثقة الزائدة والكبح الممنهج من تقاليد وعادات، ليتنقل الراوي الى شغف الفضاء ووصف الواحة وإيقاع نبض الرمل الذي رنمته رياح المكان ليربط أول كلمة ينطقها الصبي لامه بقوله

[1]-عبد الهادي دحدوح، مول الضاية، ص14.

[2]-عبد الهادي دحدوح، مول الضاية، ص19.

(**همس لها ..ماما ، فابتسمت لتشرق وجهها** ليصف الجو الخاص بين الام والأب والجدة لمعايشة الحادثة، ليصل الروائي بمحمد بوصفه لحركات المشي داخل البيت وكيفية تعليمه والطريقة التقليدية المعهودة عند أهل الضاية واصفاً ايه أنَّه تعلم على ايقاع العبارة الشعبية بقوله «**دادوش كلم، كلم يكبر ولدي ويتعلم** .[1]، وصف الروائي طريقة التقليد والمحاكاة التي انتهجها الصبي محمد بتقليده أباه السي عبد الله في كل شي....

ولتبدأ مراسيم الختانة لمحمد من الباسه عباءة بيضاء، ووضع الكحال في عيناه، والحناء، ليصف الفضاء العام للوضع المحيط به المخفي عنه عن ماهية الختانة بين فرحة أهله واستغرابه بينهم، وإبراز أهم الطقوس والعادات الذي تقام للمختون.

ثم يشير الروائي لوصف مول الضاية سيد العالم، عن كيفية ماهيته بكونه ختان ومداويا، ويتجلى ذلك في قول الراوي (**أمّا الزيان فهو نَفسه سيد العالم، فقد أصبح (زيان) الضاية ومداويها المعتمد، وقد نالَ هذه الخطوة بعدما شفى الطفلة عاية بنت سيدي الكيال** .[2]

وهو من ختن محمد ليصف مشهد الحاضرون المخيف وبكاء محمد وخوف أبيه وأمه ، حتى وصوله الى أمه كونه فحل مجهد صغير بين خوفها عليه وفرحتها به، ليصفه الراوي مختلفا عن عادته كونه مر على وقع ظرف مغاير لنمط حياته المعهودة، ثم يبدأ بوصف حركاته ونشاطه واستعادة عافيته بين خوف جدته عليه من العقير...

بعد أن وصف الروائي حالة الطفل محمد بين التعافي والتصاقه بجدته وامه، وبين الممارسة والسلوكيات والتقليد والمحاكاة وخوف الجدة وتوجيه الأم للعبه ومشاغباته، يشير أنّه قادر على الاعتماد عليه كونه أصبح يانعا يحضر الاشياء والمقتنيات بقوله (**ثم يحضر الحمارة وهي عبارة عن ثلاث اعمدة حديدية ....ثم يجلس محمد لصينية الشاي ...**)[3] **ليصف اعداده** الشاي بالطريقة التقليدية كونه تعلم الممارسة بالتقليد موضحا ان محمد اصبح يعتمد عليه من طرف العائلة.

ومن ثم، ينتقل به إلى ذهابه للكتاتيب قصد تعليمه تعاليم الدين وعلوم القران، بوصف الراوي الى الفضاء التقليدي المعد لكل من يريد الدخول الى الجامع ،ليدمجه مباشرة في الجو الخاص بالكتاتيب(**وذهب محمد إلى الكُتَّاب، ورمت أمه رشات ماء خَلفه، وذلك فوق آثار اقدام المارة من النَّاس، حتى لا يقع عليه شرهم أو تؤذيه عيونهم، وقبل يصل، أحس بأصوات الحفظة الصغار، وهي تملأ أزقة القصبة العتيقة، وتلف**

[1]-عبد الهادي دحدوح، مول الضاية، ص30

[2]-عبد الهادي دحدوح، مول الضاية، ص38

[3]-عبد الهادي دحدوح، مول الضاية، ص43

(الميضة) و (الجامع) المحاذي (لأقربيش)...ودخل محمد رحبة الكتَّاب المظلة جُزئياً غير دائرة ضوء الشمس..).[1]وصف الراوي علاقة محمد بفضاء المسجد وكيف اندمج بين أطفال بلدته، حيث تشتهر منطقة توات الكبرى بنظام المدارس الدينية او مايسمى(الكتاتيب، المحاضر، أقربيش، الجامع، الزوايا)، هي فضاءات دينية لعبت دوراً بارزاً في تحفيظ القرآن الكريم من المهد إلى الصبا وتعليمهم العلوم الشرعية واللغوية.

وليقحم الراوي شخصية دحمين في السرد ...ليصبح صديق محمد في اللعب والمناشدة بين الصبية المتجمعين في الضاية ..ليصف الفضاء الصحراوي الموالي للعب الاطفال وكيفية اعداده بطريقتهم ليصبح ملاذهم الآمن وطريقهم الوحيدة للترفيه.

الروائي قحم محمد في جو فضاء الضاية وممارستهم في الجنان واصفا تسلقه للنخلة بين استجماع القوة وتقليده لصديقه دحمين، ليقطف الثمر الربط، ليصف المشهد الصحراوي بين الممارسة و الجراءة والشجاعة والقوة ونشاط الصغار اذ ما انتهجوا طريقة الكبار في الضاية .

نستنتج أنَّ وظيفة الفضاء الصحراوي كممارسة، هو طريق يسلكه كل صبي ولد في الضاية قبل أن يصبح كهلا على أنَّ فترة مراهقته عندما يكون يانعا يقوم بقفزة نشطات يتنطط بها في البستان بين النخيل، يقحم الراوي السي عبد الله أب محمد في مشهد يراد به تعليم سيد العالم اليانع محمد أصوال التداوي بالأعشاب وخفايا حرفته التقليدية ليوافق في بداية الامر ليصبح الحاكي لتفاصيل حياته يأخذ منها محمد ما يشاء ويقلد منها ما يشاء ليصل الراوي أن محمد نسخة من سيد العالم اذا انتهج طريقه بنجاح.....

5-شخصية سي عبد الله (والد محمد).

شخصية تواتر ذكرها كثيراً في الرواية، سي عبد الله رجل أربعيني كهل يقحمه الراوي في فضاء البيت، وذلك بوصفه وصفا دقيقاً ليمارس طقساً دينيا، يقوم به المسلمين عند ولادة أحدهم، ليؤَذن في أذن ابنه محمد، ويحضنه ليعيده الى أمه، لينتقل الراوي بشخصية سي عبد الله حيت تقام طقوس المولود الجديد، ليصفه ويصف دخوله لفضاء بيته، كان السي عبد الله محركا ثانويا لشخصيه ابنه محمد فيعد دخوله فضاء اقربيش ذكر محمد أباه قصد التعريف بنفسه لإمام طالب الجامع بقوله: (**فرد محمد بتهديب ..انا محمد ولد السي عبدالله.** [2]

ليحدث حدثا مهما في الراوية يجمع محمد وأباه السي عبد الله وسيد العالم ، ليصف الراوي دخول السي عبد الله على سيد العالم في بيته في فضاء الرحبة ، ليطلب منه تعليم ابنه اصول وأسرار مهنة وحرفة التداوي

[1]- عبد الهادي دحدوح، مول الضاية، 59

[2]-عبد الهادي دحدوح، مول الضاية، ص61

بالاعشاب والختانة وكل ما يتعلق بالطل البديل ليوافق سيد العالم بقول: (**جبت ليك الولد يا سيد العالم، باش تعلمو وتقريه وتعطيه مما عطاك الله ...مرحبا وسهلا بولدي من غدوا نبدا معاه ان شاء الله.**[1]

ثُم تبدأ وقائع سرد اخر تدور تفاصيله بين سيد العالم ومحمد ابن السي عبد الله ...

ثانيا–علاقة الفضاء الصحراوي باللغة:

1– اللغة:

تُعدُّ اللغة من العناصر السردية الفعالة والأساسية التي تتشكل منها الرواية، ويقصد بها الطريقة أو الاسلوب التي ينتهجها الكاتب في صياغة الجمل وانتقاء الكلمات المعبرة، من أجل إثارة القارئ ونقل ما يدور في نفسه، ولا يمكن الاستغناء عليها في أي عمل روائي، لأنَّها (الدليل المحسوس على أنَّ ثمة رواية ما يمكن قراءتها، وبدون اللغة لا توجد رواية أصلاً كما لا يوجد فن أدبي بدونها–على الإطلاق، والرواية إذا ما اعتنى الروائي أو الكاتب بأسلوب لغتها المكثفة البلاغية الإيحائية فإنَّها تقترب كثيراً مما يُسمى بالرواية الشّعرية[2]فلا يمكن أن نتصور أي رواية بدونها.

تظهر منذ بداية السمفونية الرائعة التي نسجها الراوية في أحداث الراوية بتهليل وصفي منسجم بدلالات ايحائية ولغة راقية، مع براعة تكاد تخطف عقل القارىء وتأسر قلبه بومضات خاطفة تطلق شرارات توقد منها مجريات الراوية، فالعنوان مول الضاية عتبة نصية مستلهمة لجذب القارىء ودفعه للبحث عن ماهية مول الضاية وتفاصيل حياته بين دفات أسرار فقرات الرواية.

راوية "مول الضاية" مشحونة بالجمالية اللغوية، ولغتها ترسم فسيفساء فائقة الروعة والجمال فلغتها هي التي تشبع القارىء لتجعله يعيش بين أحضان كلماتها وحروفها، فااعتمد في بنائه السردي على مختلف التقنيات السردية الخاصة باللغة، من وصف وحوار .. فيعيدنا الراوي الى معرفتنا بالصحراء عموما و فضاء الضاية خاصة بقوله (**ولد المكان الضاية من طفح رملي متشقق تقيىء المياه الجوفيه مشكلا بدلك ماجن طبيعي كبير نمت على ضفافه فسائل النخيل الصغيرة وسويقات الحلقة واغصان النجم والفصة وبنيت حوله البيوت الطينية مشكلة بذلك القصبة العتيقة والتي احاطت بها بساتين النخيل الشائكة يقبع المكان وسط عروق الكثبان الرملية متحديا وهج الشمس وعصف الرياح.**[3]

فمهد السارد منذ البداية الأولى للسرد بأرضية مناسبة خادمة للنص، وبعدها أسقط بلغته البسيطة المختلفة من حين لآخر أحياناً تتسم بالتكلف وأحياناً العكس، فالفصحى حينا والعامية احيانا كثيرة لتتنامى

[1]– عبد الهادي دحدوح، مول الضاية، ص83

[2]–آمنة يوسف، تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، مجلة الإبتسامة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت–لبنان، ط2، 2015م .

[3]– الهادي دحدوح، مول الضاية، 15 .

أحداث الراوية وتتطور تطوراً زمنيا متواصلا لتشكل اللغة وتكمل للقارىء الصورة الكاملة بشكل غاية في الوضوح والحقيقة.

فقدم الراوي تفريشًا متميزاً ليضع القارىء في جو الراوية، تجلى ذلك في بداية قوله عن فضاء الصحراء،(**الصحراء أم النبوغ ووعد الدهشة وشاهد البداعة منذ الأزل الى الأبد**[1]، وبعدها بسط الأحداث في الضاية باستحضار أرضية يزخر بها أهل الضاية بعادتهم وطقوسهم وممارستهم وسلوكهم، ملخصا كل ذلك في دهشة وغرابة بطل الراوية سيد العالم بقوله (**لم يكن سيد العالم مريضاً نَفسيا. يبحث عن إشباع نزوة، بل كان يبحث عن إجابات، ترضي فضوله بشأن عجيب**[2]. توسط الراوي بالمزج بين العامية والفصحة، حتى يتيسر القارئ في الإنسجام في سرايا النص، فأشار لبعض المصطلحات العامية التراثية في أسفل الرواية، إنطلاقاً من ذكر الطقوس لأهل الضاية في ولادة محمد ابن السي عبد الله وتحديات الطفلة عاية لسرعة استجابتها للعلاج لتبدأ الولادة الفعلية للزمن في الراوية، وتبدأ الأحداث متوالية بلغة سرد تجعل الراوية لوحة تعبيرية اخاذة بين فضاءات الضاية وشخوصها،

(**سقمي، زحمي، ماني قادة**، ..ومجمل الوقائع التي تدور أحداثها بين شخصياتها مع تسليط الاضواء على الطقوس التقليدية التي يقوم بها أهل الضاية في افراحهم وأقراحهم ومجمل سلوكاتهم التقليدية..

وتستمر أحداث الراوية وتتوشج ويتسارع تنامي أحداثها، فيظهر لنا الترابط بين اللهجة العامية التواتية (التيدكلتية) وبين العربية الفصحى الذي استعملها السارد (**ومازاد في حيرة سيد العالم وأثار فضوله، التاجر عمي هريس الذي كان يدع لحماره...وعلى ظهره الدبش وغرارتين ..وبعض المكونات التي يستعملها أهل الضاية في صناغة البخور وكحل لعين وآخواض...**[3]

نحا الراوي لروايته مخيالا مجنحا و خيالا من وقع الأساطر، ليجسد بعدها عديد الأحداث وفق لهجة أهل الضاية مستخدما كلماتهم التي يحاورون انفسهم بها سواء الداخلية أو الخارجية..

مثلت اللغة السردية في الرواية رواجاً بحيث ينتقل الراوي بعبقرية في لحظة مفاجئة دون مقدمات إلى كبر شخصية محمد ليجسد فيها ممارسات كل يانع في الضاية، ويجسد حركات وإيقاعات سيد العالم من جهة أخرى وهو يطير بجناجي الشخصيتين في الراوية موضحًا كبر شخصية الطفل محمد بعدما كان صغير حتى بعدما أصبح يانعا يدخل الجامع و يعيش تفاصيل الشقاوة في الواحات بين النخيل حتى اخر مشهد في الراوية، ويعيش بجناح سيد العالم الذي أقبل للضاية مستغربا ليعجب بعاداتهم ويتميع فيهم ويصبح شخصاً منهم مستخدماً لغة راقية

[1]- عبد الهادي دحدوح، مول الضاية، ص9 .

[2]- عبد الهادي دحدوح، مول الضاية، ص41.

[3]-عبد الهادي دحدوح، مول الضاية، ص42

وصفية مستندا أحيانا الى اللهجة وأحيانا الي اللغة الراقية، ليوضح للقارىء دهشة سيد العالم في أهل الضاية وكبر أيام محمد ولد السيد عبد الله بين أحضان السرد في صورة جمالية قدمها في قدح طيني تيدكلتي صارخ بين غرائب العادات وبين خيال الممارسات، في سلوكات مشهورة عند الأسلاف في الضاية، وترواحا بين أوصاف الأشخاص زأسماء تربطك بالمكان الصحراوي مثل (**الماجن، السواري، قطاعة السرة، لومت، سروال التكة، الطاري، المحمودي**..)، وأسماء الأدوية التقليدية التواتية (**الحميرة، أم الناس، آخواض، لمستكة، النّوار، بوماريا، بنت السودان**..

ليصل في آخر المشاهد موضحاً ذالك بجماليات أدبية من بيئة أهل الضاية، مقدماً ذلك بزخرفة فنية أدبية جميلة تجذب القارىء متتبعا التتابع الزمني ليستخلص بإحضار شخصية محمد ولد السي عبد الله الى سيد العالم من قبل والده جسد ذلك في حوار مباشر : -**خير عليكم**.

فأجاب سيد العالم من فوره:

خير....مرحبا وسهلا.[1]

ثم تبدأ فصول سرد أخرى يحاكي فيها المؤلف بطولات سيد العالم الذي قدمها لمحمد في طبق شهي ليستنفع من خلاله أهل الضاية في تشبع لغوي حاول فيه الرواي أن يقتع القاري من خلال اقناع شخصية محمد نفسه في جلسات متواصلة فوفق في ذلك.

يجسد المؤلف ويقدم مول الضاية في حوار مباشر بقوله (**شكون انت ..انا مول الضاية**).[2] لتنتهي رحلة سيد العالم في زوبعة رملية يختفي من خلالها في صرخة مدوية سمع صداها أهل الضاية بقوله (**لتدور حول سيد العالم زوبعة رملية، وقبل إدراكه لما كان يحدث...ربما رمته الزوبعة في مكان آخر أو في كوكب آخر.**[3]

ليوضح المؤلف أن سيد العالم كان مول الضاية، فنقول في المثل الشعبي **"جا كاري ولى مول الدار"** ..

ويصبح من الاثار القديمة والنادرة في تاريخ الضاية وقدم ذلك في مقطوعة ومعزوفة لغوية ضاربة في عمق الضاية بصوت شجي حين يكون بلهجة أهل الضاية و عذب راقي حين يكون واضحا متميزا.

هكذا تمكن الراوي في خلق شكلاً سردياً يساهم في تطوير ونقل العمل السردي

2-علاقة الفضاء الصحراوي في رواية مول الضاية بالمكان

[1]- عبد الهادي دحدوح، مول الضاية، ص82

[2]-عبد الهادي دحدوح، مول الضاية ص92

[3]- عبد الهادي دحدوح، مول الضاية، ص 95

فالمكان «يُمثل علاقة وطيدة بالشخصية ومسرحاً للنشاطات والأفعال وهو كملجأ يحمي نَفسه من اضطهاد، حيث يقوم المكان في النص بوظيفة العمود الفقري، فهو بمثابة الأرضية التي تمثلها الأحداث وتتوزع وتتنوع الشخصيات .[1]

أمّا الفضاء الصحراوي يتشكل من خلال الاحداث والممارسات الصحراوية في الضاية، ويتم بناؤه بالانسجام مع مزاج وطبائع الشخصيات، فالفضاء الصحراوي يتشكل من الفضاء المكاني والزماني، فهو جزء من المكان والزمان والعكس.

والفضاء المكان أو الفضاء الجغرافي يشمل جميع الامكنة التي تدور فيها احداث الراوية بتقديم الاشارات الجغرافية التي تساهم في تحريك خيال القارىء قصد استكشاف منهجية الاماكن.

فالراوي في راوية مول الضاية، حاول رصد حضور الصحراء وتمكن في تصنيف الأمكنة التي وزعها في الراوية ضمن ما يعرف بالمكان الواقعي الذي له وجود حقيقي في جغرافية الانسان الطبيعي الصحراوي، فالضاية موجودة والطفح الرملي المتشقق موجود والقصبة موجودة والسوق موجود والبيوت التقليدية موجودة، وبين هذه الاماكن مجموع احداث واحداث، فحاول ربط الشخصيات بالأمكنة موضحا علاقة الانتماء بعيد عن علاقات التنافر او الحياد ، فالعناصر كانت متكاملة حاول الراوي وضع شخصية سيد العالم في الراوية وقدومه إلى الضاية بسبب وغاية، وأوجد عدّة أسباب ذكرنها سابقاً وأقحمه في الضاية بين أهلها، وكان سبب ذالك اعجابه بممارستهم و عادتهم وتقاليدهم.

فالتقاليد والعادات والممارسات والسلوكات مرتبطة بالمكان والحيز الجغرافي لان المكان هو من فرضها بظروفه وأسبابه، فالضاية هي من أوجدت الواحات والواحات هي من انتجت النخيل والنخيل هي من صعدها محمد وصديقه دحمين في ممارسة يقوم بها كل أهل الضاية، الراوي لخصها في شخصين يانعين...

فحضور الصحراء في الراوية وحضور المكان الصحراوي في رواية مول الضاية تجلت بداية من العنوان كون الضاية نفسها هي فضاء صحراوي مفتوح، فهي من جمعت شمل الأحداث فمن دون المكان لايمكن رسم الأحداث والوقائع، بعد العنوان جسد مكان الضاية بين متاهات الرمال وانغلاق مجتمعها بقوله (**لقد سمع عن الضاية وعن انغلاق مجتمعها وكذا صعوبة الوصول اليها ومتاهات الرمال التي تحيطها بهالة من الغموض والسحر.**)[2] ، ليوظف مكان السوق كفضاء مفتوح يتضمن حركة الناس وأحداث سيد العالم مع عمي هريس، لينتقل إلى ولادة مكان الضاية كحيز جغرافي من الطفح الرملي حتى القصبة العتيقة مرورا بالماجن والضاية، ويبدأ في سرد

[1]–سامي عزيزي، البعد العجائبي للفضاء الصحراوي في الرواية الجزائرية(روايية مملكة الزيوان–انموذجاً، مجلة سرديات الحكمة، جامعة العقيد أحمد دراية أدرار، ص154

[2]– عبد الهادي دحدوح، مول الضاية، ص13

التدوينات التي تسرد الوقائ في الراوية ويضعها في حيز جغرافي لايتعدى المنزل التقليدي المبني بالطين والسوق والواحات القريبة للضاية.

3- علاقة الفضاء الصحراوي بالزمن:

يُعتبر الزمن من المكونات الأساسية في السرد، حيث يُشكل طبيعة العمل، ويُحددها، ويُؤَثر في بقية العناصر الأخرى، ويَنعكسُ عليها، ويُعد بُعداً أساساً لكل عملية سردية، ويُساهم في تطوير بناء العمل السردي، ويُؤلف إطاراً محتويا ومتَفاعلاً مع بقية العناصر البنائية الأخرى[1]، فهو غني بالدلالات والإيحاءات .

حيث انتهج الراوي في روايته مول الضاية الزمن الخطي، اذ حاول السرد في زمن تراتبي بعيد عن التقطع، فبدايته كانت تترصد الزمن الذي ولد منه المكان بقوله (**ولد المكان الضاية من طفح رملي متشقق ، تقيىء المياه الجوفية مشكلا بذلك ماجن...**)[2] فكل تلك الأشياء والتغيرات التي تطرأ على المكان والفضاء الصحراوي المتمثل في الضاية تمر بمراحل زمنية متراتبة وفق اسباب معينة، حاول الروائي الاستهلال بها وتقديمها في فقرة يوضح بها التغير الجذري لولادة الضاية من الطفح الرملي المتشقق، ثم مر بذلك إلى إبراز القصبة على أنها شيدت في زمن آخر بعد تشكل الضاية واستقرار الناس بها فالحضارة لاتقوم الا على ضفاف الانهار والمياه.

كان الزمان في رواية مول الضاية مرتسم بالأحداث والممارسات والسلوكات والأشخاص فالزمان يتبع المكان والعكس، فالراوي استخلص عديد الفترات الزمنية بين الأحداث فانتقاله بين الفقرات كان قفزان زمنية محددة يستخلصها القارىء من خلال انطباعه بعد القراءة، فقدوم سيد العالم وسبب قدومه كان زمن متقطعا فالروائي أقدم به للضاية وأرجع القارىء في قرائته أن سبب القدوم يعود إلى هريس والطفلة المريضة.

ثم صار الراوي يتنقل بين الأحداث متخذا زمناً خطياً قد يتوقع فيه القارىء الأحداث القادمة، فقدم سيد العالم وسبب قدومه وعلاجه للطفلة وسرعة شفائها وولادة محمد وختانه وبيع مقتنيات عمي هريس وقبول أهل الضاية بسيد العالم حتى أحداث محمد المتراتبة التي قد يعيشها اي طفل في الضاية، الى قدوم سي عبد الله بابنه محمد قصد تعليمه من طرف سيد العالم كلها أحداث متناسقة متراتبة، وقعت أحداثها ومجرايتها في زمن محدد لاتقطع فيه ولا إبهام ولا تشويش، الاَّ اذا استثنيا قدوم المرأة في الظل لسيد العالم حين استخدم الراوي خياله وعند لحظة اختفاء سيد العالم من الضاية موضحاً أنَّ قدومه كان حضور خير وغيابه كان حديث من أحداث الخيال، وبين القدوم والواقع والغياب والخيال أحداث مشوقة وضعها الراوي في قالب روائي سردي فيه جنة من الافراح وغابة من الأقراح.

---

[1]-الجيلالي الغرابي، مكونات السرد"شجرة حناء وقمر"، ص7

[2]-عبد الهادي دحدوح، مول الضاية، ص15

المبحث الخامس: البُعد الواقعي والتخييلي للفضاء الصحراوي في رواية ''مول الضاية''.

1-ثُنائية الواقع والمُتخيل في رواية ''مول الضاية''.

لا شك "أنَّ المتخيل يشتغل باليات متعدده تتجاوز الواقع، لأنَّ التخييل ينتفي في الروايه التي تجعل الواقع موضوعاً لها ومن المنطقي كما تقول آمنة بلعلى أن نحكم على انتقاء المتخيّل في الروايات التي تستعيد الماضي القريب او البعيد او التي يعمل الكاتب فيها على استرجاع الذكريات لاننا في كل الحالات أمام اعاده انتاج الواقع المحسوس[1] و العلاقة بين المتخيل والواقع هي علاقة تقاطع بين عالمين لهما دلالتهما المتفردة، فالصلة الجمالية بالواقع هي ما تثمر وظيفية المتخيل للوصول الى حالة التناغم والانسجام على تشكيل إعادة بناء العلاقات في العالم الواقعي للوصول إلى مرآة عاكسة لصورة الواقع بالتحكم في قواعد الجنس الأدبي عندما يصل السارد أو الراوي في روايته إلى إدراج النص الأدبي من درجة الواقع الى درجة الإبهام، يصير المتخيل هو نص الخطاب الأدبي السردي.

حيث تعرض عبد الوهاب دحدوح في روايته مول الضاية لثنائية العقل والمتخيل من دون تعارض لأن المعطيات الواردة في نصوص روايته تأويلات تجعل العقل أرفع درجة وهو ما يضفي عنصر الإبداع والتشويق والاثارة في نصه بعدة مستويات، فعلى مستوى الظال يتقاطع المخيال والعقل مع العجيب والغرائبي بإثارة الدهشة الناتجة من نقل العقل العادي المالوف نحو النادر وغير المتواقع استنادا إلى آلاليات التحويلية بالخروج عن الذات إلى فضاء الإستغراب والذهول، بقوله عن بطل الرواية سيد العالم الذي أقبل للضاية لغرابتها وغرابة أهلها (**لقد سمع عن الضاية وعن انعلاق مجتمعها وكذا صعوبة الوصول إليها ومتاهات الرمال التي تحيطها بهالة من الغموض والسحر** ...)[2]

وأعاد المشهد في قوله (**استجاب جسد الطفلة للعلاج بسرعة خيالية واستيقظت** ...[3]

أما على مستوى المدلول فالمتخيل في الرواية يتجه نحوما يطلق عليه عادة المعنى فهو في الاساس لايرتبط بأية بنية محددة كقول الراوي (**نظر سيد العالم وهو في حالة بين الاستيقاظ والنوم فشاهد سبع رؤوس صغيرة رمادية وباهتة لاجنة كانت تستلقي بقربه** ....)[4] إذ حاول الراوي الانتقال من عتبة واقعية الى عتبة خيالية يربط بينهما بحبكة متوقعة كان قد أشار الى إرهاصاتها في مطلع الراوية....

---

[1]-عبد القادر ضيف الله، (جمالية متخيل الفضاء في رواية "مملكة الزيوان" للروائي حاج أحمد الصديق)، مجلة سرديات الصحراء ص200.

[2]- عبد الهادي، دحدوح، مول الضاية، ص13

[3]-نفسه ص21

[4]-عبد الهادي دحدوح، مول الضاية، ص51

فحاول الروائي سحب بساط الخيال بصورة مغايرة موضحا فيها ان نظرة أهل الضاية تغيرت عن الكيال نفسه الذي راة اثار اظافر جنية في باب سيد العالم بعدما كان كيالاً، بقوله (**وهو يفكر في الاشاعات التي سمعها من بعض أهل الضاية عن ان سيدي الكيال متزوج من جنية .....فانجب منها ابنته عاية ....)**[1] ، ليوضح مرة اخرى ان الطفلة عاية ليست عادية بقوله (**فشاهد طفلة صغيرة ذات جديليتين ...وجهها مان صافيا من غير حاجبين ولا عينين ولا أنف)**[2] .

وجسد البعد التخيلي في آخر نفس من أنفاس الرواية، بعدما تأكد سيد العالم باكتشافه مكان مخفي في بيت سيد الكيال أب الطفلة عاية ، لتدور أحداث خيالية يكون سيد العالم ضحيتها باختفائه النهائي من فضاء الضاية من خلال دورانه في زوابعة رملية، موضحا ان سيد العالم بعدما اعجب ودهش بأهل الضاية من واقعها وغرابتها حتى آخر تفاصيل اختفائه النهائي بعدما حفر في قلوب أهل الضاية أنه مكتبة سرية احد أثآر الضاية القديمة، وواحد من نوادر تاريخ الضاية المنسي.

جمعت كل ماهو خرافي وعجائبي في هذا الفضاء الغامض "الضاية"، وفي الأخير نستنتج أنَّ "رواية مول الضاية" ممّا أضفى على النص بُعداً عجائبياً وجمالياً خلق الإثارة والدهشة والحيرة والتساؤل في ذهن القارئ.

[1]-نفسه، ص70

[2]- عبد الهادي دحدوح، مول الضاية، ص71

خاتمة

خاتمة:

وفي ختام هذه الدراسة التي تناولت فيها أحد أهم العناصر المشكلة للبناء السردي في الرواية وهو"الفضاء" وقد خصصنا بالبحث الفضاء الصحراوي من خلال الكشف عن تجلياته في رواية "مول الضاية لروائي عبد الهادي دحدوح"، توصلتُ إلى جملة من النتائج تمثلت في :

-يُعتبر الفضاء من أهم العناصر الأساسية والجوهرية في تشكيل بنية النص الأدبي عامة، ومُكوناً مهماً من مكونات علم السرد خاصة، وبنية أساسية من البنيات الفنية في الرواية، فالبرغم من الأهمية التي يكتسبها إلاَّ أنَّ ظهوره جاء متأخرا في حقول الدراسات الأدبية، وذلك لأنَّه لم يحظ باهتمام كبير على عكس ماحظيت بيه مكونات السرد الأخرى (الشخصية، المكان، الزمن، اللغة)، يرجع ذلك إلى الخلط الموجود بين مفهوم الفضاء بمفهوم المكان، وبخاصة في الكتب المترجمة .

– لايزال الفضاء مصطلح يتشارك مع مصطلحات أخرى قريبة منه في الدراسات الأدبية والنقدية، فغياب الإتفاق بين النقاد جعل هذا المصطلح يواجه التباساً بين المصطلحات النقدية الأخرى لدّالة عليه، فلا يكاد يفرقُ النقاد بينها (المصطلحات) نظراً للصّلة الوثيقة بين تلك المصطلحات، فكل باحث ينظر إليه من زاويته الخاصة: (المكان، الحيز، الفراغ، الوقع، الفضاء) فمنهم من يرى أنَّ الفضاء أكثر شمولية واتساعاً في العمل الروائي، ومنهم من يرى مصطلح "الحيز" أنسب فرِؤيته ثابتة عند طرحه، على حين يرى البعض أنَّ "المكان" هو الأنسب استعمالا والأكثر رواجاً في الدراسات الأدبية.

-شكلت الصحراء تيمة إبداعية حضرت في النص الروائي الجزائري فلم تعد مجرد مكان جغرافي فقط، بل اتجهت لها انظار الروائيين وحضرت في العديد من الأعمال الروائية، ولاسيما التي تنزع إلى ممارسة التجريب فيها، حيث يعمد المبدع إلى تبطين نصه بجماليات متنوعة تجذب القارئ وتحفزه للولوج إلى عوالم النص، فاختار فضاء عالم الصحراء ، فتحولت الصحراء من مجرد كان جغرافي قاحل وبسيط إلى فكر عميق غني برؤىَ وأفكار مختلفة.

- رسمت رواية عبد الهادي دحدوح حلتها النّهائيّة بعنوان يحمل رمزيّة رهيبة ترمي إلى الفضاء الصحراوي، فاختار مصطلحاً بعيداً نوعا ما عن اللغة العربيّة الفصحى، وله علاقة مباشرة مع اللهجة العاميّة التواتية، فكان اسمها (مول الضايّة).

-تميز متن رواية مول الضاية بتنوع الفضاءات واختلافها ، فرسم صورة جمالية للصحراء ابتعدت عن النمطية والرتابة، ورغم امتداد الفضاء الصحراوي فقد استطاع أن يحافظ على خصوصيته، حيث شكل الخطاب الروائي لعبد الهادي دحدوح جملة من الفضاءات التي طرحت رؤيّة متميّزة لمحتوى الرّوايّة، فقد ارتقى المنظور الفضائي ليجسد رسومات مكتملة العناصر كان لها بُعد رمزي وإيحائي ودلالي ،تمثل ذلك في : الفضاء الجغرافي والفضاء الدلالي والفضاء النصي والفضاء كرؤية.

-اهتم عبد الهادي دحدوح بفحوى الفضاء الصحراوي الذي أضفى جمالية واضحة في الرواية ملهماً بعاداته وتقاليده، حيث ترسخت روايته "مول الضاية" في تقاليد وثقافة المجتمع التواتي، ، فاستغلت التُراث الشَعبي خدمة للنص الروائي وبَث روح جديدة للزمن الماضي الجميل وللطقوس والمعتقدات التواتية، حيث سجلت يوميات هذا الملاذ "الضاية" صورة مصغرة عن الصحراء.

-اعتمد الكاتب في بنائه السردي للرواية على مختلف التقنيات السردية خاصة :اللغة والأحداث، المكان، الزمن ، وأسهمت كل تلك العناصر في تصوير الفضاء الصحراوي وإحداثياته، فاستعمل اللغة بمختلف أشكالها مشحونة بالجمالية اللغوية ممزوجة بين فصحى وعامية، وحاول رصد حضور الصحراء من خلال تصنيف الأمكنة التي وزعها في الراوية مع الإشارات إلى مراحل زمنية متتابعة.

-عبد الهادي دحدوح في روايته مول "الضاية" عرض لثنائية الواقع والمتخيّل من دون تعارض لأن المعطيات الواردة في نصوص روايته تأويلات تجعل الواقع أرفع درجة وهو ما يضفي عنصر الإبداع والتشويق والإثارة على نصه بعدة مستويات ، فعلى مستوى الحكي يتقاطع المخيال والعقل مع العجيب والغرائبي بإثارة الدهشة الناتجة من نقل العقل العادي المالوف نحو النادر وغير المتواقع استنادا الى الآليات التحويلية بالخروج عن الذات الى فضاء الإستغراب والذهول.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

-القرآن الكريم رواية ورش عن نافع.

أولا: المصادر والمراجع العربية:

01. ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، المكتبة العلمية-بيروت 1399هـ-1979م ،ج3
02. الأزهري الهروي أبو منصور، تهذيب اللغة ،تحقيق أحمد عبد الرحمان مخيمر ، الجزء التاسع :ش،ض،ص،س باب الضاد والفاء ،منشورات علي بيضون ،دار الكتب العلمية ،بيروت-لبنان /2004
03. البحراوي حسن، بنية الشكل الروائي (الفضاء ،الزمان ،الشخصية) ،المركز الثقافي العربي،ط2009/2
04. برانين أمينة أحمد، فضاء الصحراء في الرواية العربية(لمجوس الإبراهيمي أنموذجا)، دار غيداء للنشر والتوزيع 2010، عمان/الأردن، لطبعة الأولى 2011م/1432هـ
05. بعلي حفناوي، صحراء الجزائر الكبرى ،في الرحلات وظلال اللوحة وفي الكتابات الغربية ، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع
06. بلال عبد الرزاق، مدخل إلى عتبات النص(دراسة في مقدمات النقد العربي القديم) ،إفريقيا الشرق ،د ط، 2000، بيروت
07. بلحسن الحسين ربوش، التراث الشعبي وأهميته التاريخية من خلال نماذج من الآمثال والعادات والطقوس والمرددات الشعبية، شركة دار الأكاديميون للنشر والتوزيع
08. بلعابد عبد الحق، عتبات جيرار جونيت من النّص إلى المناص، تح سعيد يقطين، العربيّة للعلوم ناشرون، دط
09. بلهاشمي أمينة، المكان وشعريته في ضوء المنهج السيميائي (دراسة نموذجية في الشعر العربي الجزائري الحديث)، دار المعتر للنشر والتوزيع
10. بن جعفري عبد القادر، أمي توات من عبق تراثها (فصل العادات والطقوس التقليدية)، دار الدواية للطباعة والنشر والتوزيع،ادرار،ط1،2022
11. ابن فارس أحمد، مادة فضى، معجم مقايس اللغة، الجزء4، تحقيق :عبد السلام محمد هارون ،الناشر:دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت/لبنان 1399هـ-1979

12. بنكراد سعيد، سينيائيات الثورة الإشهارية (الإشهار والتمثلات الثقافية)، إفريقيا الشرق،دط، دس، بيروت.
13. توتاي سيف الله هشام، تجليات الزمكان في بنية الخطاب السردي(دراسة تطبيقية في راية من قتل أسعد المزوري)للحبيب السائح
14.
15. جريوي أسيا، السرديات العربية من نظرية المحكي إلى تأسيس الرواية، المثقف للنشر والتوزيع، الجزائر، 2019
16. جوتييه أ.ف، أحمد كمال يونس، الصحراء، وكالة الصحافة العربية (ناشرون) ،الجيزة –جمهورية مصر العربية ،الطبعة2018
17. جينيت جيرار، حدود السرد: ضمن كتاب طرائق تحليل السرد الأدبي،ترجمة بن عيسى بو حمالة، منشورات اتحاد كتاب المغرب، الرباط، 1992، ط1
18. الخفاجي عارف وحيد ابراهيم، فلسفة الفضاء في الرسم العالمي المعاصر ،الدار المنهجية للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأولى(1437هـ-2016م)، ط4
19. دحدوح عبد الهادي، رواية مول الضايّة، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع، خرايسية/الجزائر،الطبعة الأولى2020
20. الرازي، مختار الصحاح، مادة :فضى، دار الكتب العلمية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان 1406هـ1986م
21. الزَّبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس ،تحقيق:مجموعة من المحققين، دار الهداية ،ج12 ،ص286
22. الزمخشري، أساس البلاغة، مادة"فضو" ،الجزء2 ،دار الكتب العلمية ،بيروت-لبنان ،ط(1998) ص27.
23. الشايب أحمد، الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية ، مكتبة النهضة المصرية ،الطبعة8/1411هـ-1991م)
24. صبري الهبتي فارس، التصحر(مفهومه-أسبابه-مخاطره-مكافحته)، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، الأردن/عمان، ط2020/8/18
25. -صلاح صالح، الرواية العربية والصحراء، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ط1997، ص508

26. طارق زيناي طارق، امتدادات الفضاء الزمكاني وأنساقه العرفانية في المخيال الشعري عند ابن الفارض ،مركز الكتاب الأكاديمي ،عمان-2019 ،بدون طبعة

عزيزي سامي، البعد العجائبي للفضاء الصحراوي في الرواية الجزائرية(روايية مملكة الزيوان-انموذجاً، مجلة سرديات الحكمة، جامعة العقيد أحمد دراية أدرار.

27. علجي فؤاد، تيمة الصحراء في الرواية الجزائرية المعاصرة(مقاربة سيميائية تحليلية لرواية تيميمون لرشيد بو جدرة)

28. عليان حسن، تقنيات السرد وبنية الفكرالعربي في الرواية العربية، دار الآن ناشرون وموزعون ،القاهرة 20،ط2015

29. الغرابي الجيلالي، مكونات السرد(شجيرة حناء وقمر"انموذجا"،دار الأكاديميون للنشر والتوزيع عمان/الأردن، ط2016

30. -الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، ط8، 2005.

-الفيروز آبادي، القاموس المحيط، الجزءالرابع، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، طبعة جديدة المجلد الخامس، العدد12 يناير2021.

-الفيروز آبادي، قاموس المحيط، دار الحديث، لقاهرة، الطبعة: 1429هـ-2008م، الجزء2.

31. قوراري سليمان، مباحث في الرواية الجزائرية(دراسة نقدية)، دار الكتاب العربي، خرايسية-الجزائر، طبعة2016

32. لحميداني حميد، بنية النص السردي من منظور النقد الادبي ،المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت-لبنان،ط1 /1991.

33. مجمع اللغة العربية بالقاهرة، معجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4

34. محمود رزق هُيام، أسرار العلاج بالشاي والحمضيات ،دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، بيرت-لبنان، ط1

35. مختار عمر أحمد، معجم اللغة العربية المعاصر، عالم الكتب-القاهرة ،الطبعة 1 ،المجلد 1

36. مرتاض عبد الملك، في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد)، عالم المعرفة –الكويت ،ط1(ديسمبر 1998)

37. مرتاض عبد الملك، في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد، المجلس الوطني لثقافة والفنون والأدب، الكويت، شعبان1419هـ

38. مكتب البحوث في دار الفكر،الموسوعة العلمية الشاملة(علوم الأرض والكون)، دارالفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان-بيروت)

39. ابن منظور للسان العرب، مادة"فضا"،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع (دار صادر-بيروت)، الطبعة الثالثة ،المجلد الخامس عشر ،الجزء11

40. المودن حسن، الرواية والتحليل النصي (قراءات من منظور التحليل النصي) ،دار الآمان، 2019، ط1.

41. – المودن حسن، الرواية والتحليل النصي، (قراءات من منظور التحليل النفس) ، الدار العربية للعلوم ناشرون روباش إيمان، شعرية الفضاء في رواية الأمير "واسيني الأعرج"، مجلة تاريخ العلوم،جامعة البليدة ،العدد السادس،ص161

، بيروت/منشورات مختلفة، الجزائر، ط1(1430هـ-20019م)

42.

43. النصير ياسين، الرواية والمكان (الموسوعة الصغيرة)، دار الشؤون الثقافية العامة (وزارة الثقافة والاعلام)،العراق-بغداد،ط2

44. يقطين سعيد، الكلام والخبر مقدمة السارد العربي، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 1987

– يقطين سعيد، البنيات الحكائية في السيرة الشعبية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء/بيروت، ط1997

45. يوسف أمينة، ت قنيات السرد في النظرية والتطبيق ، دار الحوار للنشر ، سوريا ،ط1

46. يونس سميحة، كلثوم مسعودي، دور الصناعة التقليدية في تفعيل السياحة الصحراوية (دراسة ميدانية في منطقة الزيبان _بسكرة)، مجلة أبحاث ودراسات التنمية، العدد الخامس –ديسمبر2016، جامعة برج بوعريريج

47.

المجلات والدوريات:

01. أعمال الملتقى الوطني الأول"حضور فضاء الصحراء في الرواية الجزائرية"، مجلة سرديات الصحراء–مجلة علمية دورية محكمة، العدد2، ديسمبر2019

02. بن جديد جمال، صباح الخضاري، قراءة مفاهيمية في بعض المصطلحات السردية المترجمة السرد – علم السرد – السردية – السرديات)، مجلة المترجم، مجلد 20، ع 1، جوان 2020

03. بوحسون حسين ، فضاء الصحراء :جدل المكان والإنسان ،مجلة دراسات،جامعة بشار ،العدد الثاني ،ديسمبر 2012

04. التجديتي نزار، حلم الصحراء في الأدب المغاربي، محاضرة مقدمة بمناسبة المائدة المستديرة التي ينظمها البيت العربي في معرض الكتاب يوم 31مايو 2007 ،تحت عنوان "الصحراء في الأدب."، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة عبد المالك السعدي بتطوان (المغرب)

05. خلف الله بن علي، مجلة علمية محكمة نصف سنوية، العدد02/جوان/2017، مخبر الدراسات النقدية والأدبية لمعاصرة، المركز الجامعي –تيسمسيلت/ الجزائر

06. دحماني حليمة، رمزية الصحراء في روايات إبراهيم الكوني ، مجلة الإنسان والمجال–مجلة دولية علمية تصدر عن معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية ،العدد:05–افريل 2017 ،المركز الجامعي نور البشير بالبيض–الجزائر

48. روباش إيمان، شعرية الفضاء في رواية الأمير "واسيني الأعرج"، مجلة تاريخ العلوم،جامعة البليدة ،العدد السادس،ص161

07. زراد جنات، تجليات الفضاء الصحراوي في الرواية العربية، مجلة العلوم الاجتماعية والإسلامية ، العدد الثالث عشر، جامعة باجي مختار–عنابة

08. ضيف الله عبد القادر، (جمالية متخيل الفضاء في رواية"مملكة الزيوان" للروائي حاج أحمد الصديق)، مجلة سرديات الصحراء، جامعة

09. عبد القادر سلامي، العوفي نوال، الفضاء الصحراوي وجمالية تجريبية–قراءة في المنجز الروائي الجزائري المعاصر، المجلة العربية مداد

10. عطية نسرين، محمد كنتاوي، تطور وتحول الرواية العربية من التقليد إلى الحساسية الجديد ،جامعة أحمد دراية.أدرار، مجلة آ فاق علمية ،المجلد :13 العدد 2020/10/02

11. قاشوش سليمان، براهيم عبد النور، تيمة الفضاء الصحراوي وعبقرية الابداع السردي، مجلة اشكالات في اللغة والأدب ،مجلد 9 ،عدد:4 ،السنة 2020، المركز الجامعي تامنغست–الجزائر

12. كوسة بلال، سردية الصحراء :نحو إعادة تشكيل التجربة السردية من منظور ابراهيم الكوني ،مجلة الخطاب ،المجلد16 ،العدد2 –جوان 2021، جامعة سطيف

13. ماتي شهيناز، البُعد الفلسفي الوجودي في استحضار الموروث الشعبي الصحراوي في الرواية الجزائرية(رواية نادي الصنوبر أنموذجاً)، مجلة سرديات الصحراء،العدد2 ،ديسمبر 2019 ،تصدر عن مخبر الفضاء الصحراوي في مدونة السرد الجزائري–جامعة ادرار

14. وذناني بوداود، فضاء الصحراء والسرد السياحي في الرواية الجزائرية (رواية تيميمون لرشيد بوجدرة انموذجاً) مجلة الباحث ،العدد18(31ديسمبر/كانون الأول 2017)، جامعة عمار ثليجي الأغواط، الجزائر

15. يوسف آمنة، تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، مجلة الإبتسامة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت–لبنان، ط2، 2015م

الرسائل الجامعية:

01. جعفري عز الدين، أطلس العادات والتقاليد بمنطقة توات، أطروحة مقدة لنيل شهادة الدكتوراه، تخصص: تاريخ، تحت إشراف الأستاذ الدكتور شعيب مقنونيف، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم التاريخ، لسنة الجامعية2017–2018

02. عبد الوهاب محمد صديق حسن، الصحراء في الشعر الجأهلي، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في الأدب والنقد، إشراف عبد الرحمن عطا المنان، قسم الدراسات الأدبية والفنية، جامعة أمدرمان الإسلامية، السنة الجامعية 2008/2007.

فهرس المحتويات

فهر س المحتويات:

الإهداء 3
شكر وعرفان. 4
مقدمة ..... أ
مدخل: في مصطلحات الدراسة: "السرد"، "الرواية" و"الصحراء" في الرواية العربية 5
1-مفهوم السرد..... 5
2-مفهوم الرواية 6
3- مفهوم الصحراء..... 10
4-تيمة الصحراء في الرواية العربية 10
5-تجليات الصحراء في الرواية المغاربية 14
الفصل الأول: الفضاء الصحراوي، مفهومه، وتجلياته في الرواية الجزائرية. 20
المبحث الأول: مفهوم الفضاء السردي واضطراب المصطلح 20
المبحث الثاني: مفهوم الصحراء وخصائصها 26
المبحث الثالث: تجليات الفضاء الصحراوي في الرواية الجزائرية 32
المبحث الرابع: البُعد الواقعي والتخيلي لفضاء الصحراء في الرواية الجزائرية 36
الفصل الثاني: تجليات الفضاء الصحراوي في رواية مول الضاية ،لروائي "عبد الهادي دحدوح" 39
المبحث الأول: ملخص وصفي لرواية "مول الضاية لعبد الهادي دحدوح". 39
المبحث الثاني :أنواع الفضاءات في رواية "مول الضاية لعبد الهادي دحدوح". 43
المبحث الثالث: مكونات الفضاء الصحراوي في رواية مول "الضاية" 50

المبحث الرابع: علاقة الفضاء الصحراوي في "رواية مول الضاية" بمكونات السرد (الشخصية، الحدث، الزمان، المكان). 58

المبحث الخامس: البُعد الواقعي والتخييلي للفضاء الصحراوي في رواية "مول الضاية". 70

خاتمة 73

قائمة المصادر والمراجع 76

فهر س المحتويات 84

ملخَّص

يتناول هذا البحث تيمة "الصحراء" في النص الروائي الجزائري المعاصر، من خلال تتبع مظاهر وتجليات فضاء الصحراء في رواية "مول الضاية" لعبد الهادي دحدوح. وقد جسد منظور الفضاء في هذا النص جملة من الرسومات المكتملة العناصر، كان لها أبعاد رمزية وإيحائية ودلالية، فغدت الرواية بذلك لوحة فنية صحراوية نابضة بالحركة، تجمع بين الواقع والمتخيّل، ومحققة لعنصر الدهشة الفنية، بالانتقال من المعقول المألوف إلى النادر وغير المتوقع، عبر استخدام الآليات التحويلية اللغوية والإبداعية.

الكلمات المفاتيح:

الرواية؛ الفضاء؛ الصحراء؛ الجمالية؛ مول الضاية؛ عبد الهادي دحدوح.

Abstract

This research deals with the theme of desert "Sahara" in the contemporary Algerian narrative texts by inquiring the manifestations of the Sahara Space in" Mall Al D'ia" by Abdulhadi Dahdouh. In this text, the space perspective embodied a series of completed narrative element drawings that had the most symbolic, suggestive and semantic implications; thus, the novel became a vibrant and vivid desert painting, combining reality and imagination. It also achieved the element of artistic astonishment by moving from familiar reasonable to rare unexpected using linguistic and creative transformational mechanisms.

Keywords: Novel, space, desert, aesthetic, Mall of Al D'ia, Abdulhadi Dahdouh